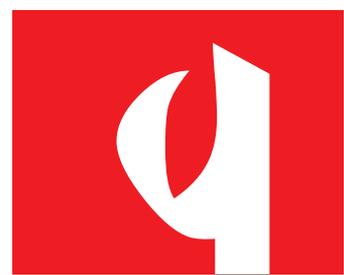


جعفر الخليلي



مرافقة من زمن التوهج بيون



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2079) السنة الثامنة
الخميس (24) آذار 2011

6

جعفر الخليلي:
«أمه في رجل»





الاستاذة الفريدة مع والدها الراحل

أبي كما عرفته

فريدة جعفر الخليل

(المرء كثير بأخوانه). ولم أجده مرة يلوم اصدقاءه في شيء أو يشير الى اخطائهم وإنما يخفي سره مع صديقه حتى عن اقرب فرد في عائلته، مع انه لا يستطيع ان يتحمل الخطأ مهما كان بسيطاً لأنه يعتقد ان الخطأ متى تكرر يصبح عادة يصعب انتزاعها. كان يعشق المطالعة ويقضي ساعات متأخرة من الليل وهذا هو السبب الذي دعاه ان يفضل وظيفته التدريس ويجبر مدير المدرسة ان تكون دروسه في ساعة متقدمة من النهار، ولا يمكن ان يثنيه حتى المرض من المطالعة، واذكر اني يوم وفاته كنت قد جلبت له عدة مجلات فقال لي: انني قرأتها من الغلاف الى الغلاف.

وكان يحب قراءة الشعر بصوت عال يشبه الغناء، ويتمتع وهو يسمع صوته، لذلك كان يحفظ الكثير من الشعر ويعود ذلك لتربية والده الذي كانت له مكتبة فخمة من كتب الادب والشعر القديم.. وهذا التأثير الأدبي من ابيه كان يشمل اخاه الأكبر المرحوم عباس الخليلي الذي نظم اول ابيات شعر لا احفظ إلا مطلعها يوم كان في التاسعة من العمر: عندما كنت صغيراً سار بي في ضحى العيد الى السوق أبي

القلب اوسكار شكري: بين اوسكار والقلوب جميعاً هو ما بين عاشقين وأكثر كل قلب حتى قلوب الغواتي خاضعات له إذا ما تأمر فهنيئاً لجابر وطبيب يجبر القلب أن هوى وتكسر وبعيد النظام للقلب في السير فلا يلتوي أو يتعثر وما اكثر اصدقاءه الذين يعتز بهم لأبعد حدود الاعتزاز والصدقة الحق، وكثيراً ما كانت تناله بعض الإساءات من صديق فيكتمها، ولكنه دوماً ينصح بناته في كيفية اتخاذ الصديق حتى لا تفقد صداقته وتحتفظ بها مدى الأيام ولم يرضى توجيه اية شكوى او تدمير من الصديق فيقول ما قاله الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه وفي مكتبه لوحة فنية جميلة كتبت (صديقك من صدقك)، وكان يلجأ لأصدقائه عند ضيق صدره فيكتب إليهم ما يشعر به وكأنه ينشد فهيم الأمل. ولكنه لم يلجأ لأي صديق عند الأزمات المالية التي اضطرته مرة ان يبيع بعض كتبه القيمة لشراء ورق لجريدته في اثناء الحرب، وهو مع ذلك يؤمن بأن

عرفهم معرفة حميمة لكثرة اسفاره وقضاء فصل الصيف في ربوع لبنان حيث اتاحت له فرصة التعرف الى عدد كبير من الأدباء في لبنان والمهجر. وكان يقيم لهؤلاء الاصدقاء الذين يفتدون على النجف وبغداد حفلات الغداء والعشاء في بيته مرحباً بهم بأبيات من الشعر التي تجعل غيره من الشعراء والأدباء العراقيين يشاركونه الاحتفالات اثناء حفلات الطعام وتسمي تلك الأمسية ندوات شعرية وسرعان ما تنشر في جريدة الهاتف ويردها البعض ممن يستسيغون الشعر. وهنا كان رحمه الله يشعر بالراحة النفسية عند إقامة حفلة التكريم في داره، بل ان هذا الوفاء والاخلاص للاصدقاء هو الذي دعاه ان يؤلف كتابه هكذا عرفتهم بأجزائه الستة المطبوعة، لأن حزنه على رحيل اصدقائه لا يمكن لي تصويره حيث كان يكتب عنهم بألم دفين يدعه يبكي بكاء مرأ. ومثل مناسبات التكريم هذه وغيرها التي ينظم فيه الشعر عديدة من أنه لم يدع بانه شاعر ولكنه لم يدع مناسبة في تكريم او ترحيب بصديق او مولود جديدة او انتقال الى دار جديدة إلا ونظم عدة ابيات لتلك المناسبة.

ومن شعر المناسبات ما قال في طبيب

شبابه، ويلمس في تلك الروايات دنيا الواقع الاجتماعي الذي يعيشه ويتأثر به كثأثره بقصص جي. دي. موباسان. ومن واقعيته تعلقه الشديد بعالم الحيوان والطبيعة، وكثيراً ما كانت تشده الافلام عن الحيوانات التي تزيد ايماناً بقدرة الخالق. ومن فلسفته ان العلم والايمان لا يتعارضان مطلقاً.. ومن واقعيته ايضا انه كان بعيداً كل البعد عن التكلف والبذخ والمغالاة، كالإسراف في المأكول والمشرب، وكان لا يشرب غير السيكارة الانجليزية الأنيقة يومذاك وهي Black & White ، ولم تتعارض فلسفته في الاعتدال في الأمور من أن يكون مثانقاً ومترفاً في مطلع شبابه. ومن ذكريات الطفولة نشأت علاقته بكبار الشعراء والأدباء من النجف الذي كان يعتز بهم ويراسلهم ويحتفظ في مكتبته بعشرات الملفات الخاصة برسائل الاصدقاء من أمثال وديع فلسطين ووديع رشيد الخوري وروكس العزيزي والياس فرحات وجورج صيدح وعجاج نويهض وورشاد دارغوث ومحمد عبد الغني حسن وعبد القادر القط وعبد السلام العجيلي وغيرهم الكثيرين الذين

رأى النور في مدينة النجف في يوم الجمعة السابع من شعبان ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م وكان يعتز بشهر شعبان الذي يسبق شهر رمضان الفضيل ويصوم في منتصفه ويدير مع اقاربه الاحتفالات والاهازيج الشعبية الخاصة بها.. وكان يروي لنا القصص والحكايات عن طفولته الصاخبة يوم كان يقود اولاد الحارة ويزجهم في الاعيب مؤذية وخطيرة احيانا يضطر الاهالي لإنزال اشد العقوبات بحقهم ويهرب هو ناجياً من كل تلك الالاعيب التي تدل على نكاته وحذقه، وكان يفخر بمثل تلك الروح القيادية ويتمتع بذكرى حوانتها مفصلاً وكأنها حدثت له بالأمس.

نشأ يحب الفكاهة والمرح والأريحية. ويحفظ الكثير من الفكاهات المسلية ويرتاد دور السينما والتمثيل الكوميدي بحيث لم يترك فيلماً لبشارة واكيم او اسماعيل ياسين دون ان يراه لأكثر من مرة واحدة. وكان مولعاً في القصص والروايات الدرامية التي تستند على الواقع وبعيدة كل البعد عن الخيال. فكان يعتز بكبار الممثلين امثال محمود المليجي وعماذ حمدي ويوسف وهبي ويكي أسفاً وحسرة لوفاتهم لأنه عاش مع تمثيلهم منذ مراحل

كان يلقب لأنه عمل لأكثر من خمسين عاماً متواصلاً في الصحافة ومكافحاً ومنصراً على الظروف والعقبات.

وُدفن في دبي مساء السبت ٢/٢/١٩٨٥ وصدق الشاعر في قوله:

مشبهاً خطي كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطي مشاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت
في أرض سواها

وعندما ذهب الرجل سمعت بعد أيام عن وفاته، فما عاد طيفه يغيب عني وما عدت أنسى تقصيري معه.

ومات بكل هدوء وراحة أبدية طالما تمنى ذلك لإبائه وخوفه من المرض العضال الطويل الذي يزعج أهل بيته. وبكاه بموته الأصدقاء والأحبة وكل من عرف وفائه الخالد في سبعة أجزاء من (هكذا عرفتهم). مات إنسان الوفاء وأبو الصحافة العراقية كما

والمغفرة. وعندما كنت أسأله وما سبب طلبك الغفران يا أبي وأنت لم تسيء إلى احد في حياتك؟ كان يقول.. أنني لا يمكن أن أنسى ذلك الشخص الذي لا اعرفه تماماً وجاءني يطلب مساعدة مالية مني يوم كنت اصطاف في جبل لبنان. فأعطيته نصف المبلغ الذي طلبه ليس بخلاً وإنما كنت أخاف ان احتاج إلى المال وأنا اقضي فترة طويلة خارج بلادي ولا احب الاقتراض من احد.

مما سببت له متاعب صحية وأوصاه الطبيب بتركها تدريجياً فأبى، وظل طوال حياته يحن إلى التدخين وطالما كان يمسك بعلبة الدخان ليشم رائحتها فيشعر بانتعاش غريب.

كان يعتز بمؤلفاته كأعتزازه بأولاده وأكثر ولعل كتابة (اولاد الخليلى - مجموعة قصصية) أعز لديه من أولاده الحقيقيين لأن كتبه تخدمه في سمعته الأدبية، وأن كان يهتم بأولاده ويغدق عليهم حبه ويرشدهم دوماً. فعندما لا يستمع أحداً منهم لإرشاداته ونصحه يقول لهم: - (إن لم تؤدبك نفسك أدبك الزمان).

وكان متفائلاً حتى في احلك الظروف ويوصي اولاده بالتفاؤل يتمثل في شعر إيليا أبي ماضي:

وتمتع في الصبح ما دمت فيه
لاتخف أن يزول حتى يزولا
وكان مؤمناً بالقدر - يكرر نصائحه بالتخفيف عن الآخرين بقول الشاعر:

دع المقادير تجري في اعنتها
ولا تبيتن الإخالي البال

وكان يقول أيضاً: لا تحمل همأ لم ينزل بك.

كان يحب في المرأة جمال شخصيتها ويؤمن بالمرأة الواعية المثقفة بشرط ألا ننسى واجباتها المنزلية. وعن جمالها الطبيعي كان يرى في الجمال اعتدال التناسق في الجسم وجاءته مرة بطاقة تهنئة بمناسبة العيد من مدينة السلط (وهي إحدى المدن المهمة في الأردن).

فأعجبه الوقار والتناسق في الطول الفارع الذي يمثل رزاة المرأة البدوية فكتب لصاحبه يشكره ويقول:

من بنات العرب الكرام فساتان من السلط في ثياب بهيه

شف عنها جسم من العاج صيغ مثالا في قامة سمهرية

مميزة (السلط) في الفتاة جمال في حياء لأنها بدوية

في سمات لم تحكها بنت حواء لغير السلالة العربية

يا ابنة (السلط) أنت في كل جلباب وأن لم تجلبي حورية

كان شجاعاً وصبوراً حتى عند المرض الشديد بحيث لا يشكو مهما كان الألم شديداً وقد عانى صابراً في ابتعاده عن وطنه وأصدقائه ومكتبته في أواخر حياته، وكان لا يهاب الموت ولا يخافه بل ويوصي بناته عند موته أن يلجان إلى الصبر والوقار في حزنهن ويعملن بوصية إيليا أبي ماضي لزوجته في التغلب على حزنها:

أنا أن أغمض الحمام جفوني
ودوي صوت مصري في المدينة
لا تشقى عليّ ثوبك حزناً

لا ولا تذر في الدموع السخينة
فليقول العذال عنك بخيلة
لهو خير من قولهم مسكينة

غالبى اليأس وأجلسى عنك بخيلة
لهو خير من قولهم مسكينة
أن للصمت في المأتم معنى

تنعزى به النفوس الحزينة
وكان في حزنه على وطنه ينشد الشعر بصوت مسموع ويردد قوله الشاعر:

تنكر لي دهري ولم يدر انني
اعز وأحداث الزمان تهون

وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه
وبت أريه الصبر كيف يكون
وكان رحمه الله في أيامه الأخيرة يستعين بالله ويطلب منه العفو

وفي الشعر يوصف الصبي الصغير عباس كيف اشتري له ابوه بدلة وخاتماً من الذهب.

فالدنية البيتية هي التي جعلته يحب الكتب والمطالعة، وقد يشرف بنفسه على مكتبته ويرعاها بل ويعتبرها أهم ركن من أركان بيته، وتأثير ذلك انعكس على تفكير بناته يوم كانت احداهن في زيارة بيت اصدقاء لهم في منتهى الاناقة والبذخ والحدائث، وعندما سألتها والدها عن رأيها في ذلك البيت الجميل الذي يتحدث الناس عن فخامته.. قالت نعم يا أبي ولكنني لم اجد فيه كتباً.

كان جريئاً في كتاباته ونقده لا يجامل صديقاً كان او قريباً له، وذلك من منطلق فلسفته في احترام الحقيقة في مجال العلم والدب، وان للاديب رسالة يجب ألا يحيد عنها في هذا المضمار.

وكان بعيداً عن عالم الخرافة والسحر والجن والكثير من العادات والأوابد القديمة الراسخة في نفوس الناس من جياها، وكان يعزو ذلك لوالده الذي عاش في مجتمع تسوده الخرافات ولكنه لا يؤمن بها مطلقاً، بل كان يجد تفسيراً واقعياً لمثل تلك المعتقدات التي ترسخ في اذهان الناس ويتناقضونها من جيل الى جيل كعقائد اصيلة. ووالده هو الذي جعله يعتاد قراءة الدب والشعر والكتابة حيث كانت له مكتبة فخمة وهي ثروته التي ورثها من بعده واعتز بها مدة الايام. فكننت أرى بعض الكتب من المخطوطات القديمة التي تحول ورقها الى اللون الاصفر الداكن، وهي التي تدلني على انها من مخلفات جدي.

وكان يحتفظ أيضاً بقرآن أمه الخاص. لأنه كان يعتز بها ويسيرتها الحكيمة الجليلة التي عرفت بالشجاعة، وقد نشأته بعز ودلال ورعاية خاصة، وتالم لوفاتها بحيث لم يستطع زيارة قبرها حتى وفاته. وكان يناديها ويتعلق بذكرها كلما ألمت به مصيبة أو اذى.

وكان يحب زيارة البيت الذي وله فيه، فيقف امام البيت مستعرضاً ذكريات ماضيه مع اسرته ومع اولاد الحارة، وتلك البيئة الاجتماعية والأدبية التي صور معظمها في ذكرى حياة الراحلين في أجزاء كتابه هكذا عرفتهم. وكثيراً ما طلب منه ان يكتب مذكراته فأبى لاعتقاده بأن سجل تاريخ حياته وحياة الذين عاش معهم في (هكذا عرفتهم).

كان متواضعاً لا يقبل ان ينعت بالاديب الكبير وإنما يقول عن نفسه أنه متأدب، وكان أبياً لأبعد حدود الاباء في طريقه نشر مقالاته او قصصه لا يعرض مقالاً او قصة ما لم تطلب المجلات او الصحف او الإذاعة والتلفزيون. ومن إبائه المتناهي انه نقل في وزارة المعارف للتدريس في إحدى المدن الصغيرة بجنوب العراق وعلى اثرها استقال في الحال بالرغم من اصرار الدولة على بقاءه وتقديم الاعتذار له، وهنا اراد ان يحقق رغبته الكامنة فأنشأ جريدة الفجر الصادق عام ١٩٣٠.

كان عصبي المزاج، متمسكاً برأيه لا يخنيه عنه شيء ولو ادى لتعطيل مصالحه، ومن امثلة التزامه برأيه وتمسكه بإرادته القوية، انه كان في إحدى المجالس الأدبية الشعرية في النجف فورد موضوع الإرادة، واراد ان يتبث لهم قوة ارادته وعزميته. فترك السيارة في المجلس نفسه، ولم يعد لها



جعفر الخليلي بين البدايات والقصاصين الشباب

مقابلة صحفية مع الفقيه الخليلي



اتوقع من التقدير عند عدد من فحول رجال الأدب وأئمة كميخائيل نعيمة، وعجاج تويهض، وجورج صيدح، والياس فرحات، ومحمد عبد الغني حسن، ومن العراق، ذو النون ايوب، والدكتور صفاح خلوصي وعبد المجيد لطفي، وعبد الحق فاضل، والدكتور مصطفى جواد، وفؤاد عباس، وروكس العزيمي، وغيرهم وقد نشر كل واحد من هؤلاء غير مرة اراءهم التي كالوا بها الثناء لي اكثر مما استحق ولا اشك ان هناك من اشاروا في كتبهم بامور كان مبعثها الغرض في نفوسهم اكثر من البحث عن الحقيقة، فهذا واحد منهم يأخذ علي هفوات ولكنه لا يأخذ مثلها على الذين كتب عنهم، ويضع لأولئك مانشيتات في كتابه، ويهملني متعمداً ثم يخص لكل كاتب قصة بباب مستقل اما انا فيدرجني ضمن الكتابة درجاً والغريب ان الكثير من الكتاب ينسبون كتاباتي - حقا ام باطلا - الى ما يسمى بالسهل الممتنع، اما صاحب

تطلب من اعداد بحوث معينة كانت تشغلني، وهناك مؤلفات اخذت معظم وقتي (كمسوعة العتبات المقدسة) التي شارك معي في تأليفها عدد من اساتذة جامعة بغداد والتي تناولت كل عتبة مكمة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، والنجف الأشرف، وكربلاء من اول تمصيرها وقبل ان تكون مدينة حتى هذا اليوم، وقد صدر منها حتى الآن ثلاثة عشر مجلداً وتوقف العمل فيها قبل ان تتم، وهناك مجموعة من تراجم باسم (هكذا عرفتهم) تتناول مشاهير من رجال العلم والأدب، وقد صدر منه حتى الآن اربعة اجزاء، ولدي اربعة اجزاء لا تزال مخطوطة بسبب غلاء الورق والطباعة، ومع كل هذا فان لدي مجموعة قصصية باسم (ايام مضت) لا تزال مخطوطة لنفس السبب، بسبب غلاء الورق والطباعة. لم اتوقع هذا التقدير وما هو رأيك بما كتب عنك من نقد؟ - اعتقد انني قد حظيت باكثر ما كنت

فهو يقتصر عندي على القراءة وعلى المطالعة وبعد ان تم إغلاق (الهاتف) بموجب المرسوم الصادر سنة ١٠٥٤ نقلت هنا المكتب الى البيت واصبحت اكتب القصة وغير القصة عليه، اقول غير القصة لأن لي بحوثاً ومقالات، ومحاضرات، ومؤلفات اخرى هي اضعاف ما كتبت من القصص حتى صار عندي اليوم ما يؤلف ٤٤ كتاباً في مختلف المواضيع.

ايام مضت:

لقد مرت عشر سنين واكثر ولم تقرأ لك قصة جديدة فهل هنالك اسباب كانت تستدعي الانصراف عن كتابة القصة؟...
- في الجواب الثالث اشرت الى ان القصة لم تكن هي وحدها التي كانت تستوعب كل حياتي فهناك بحوث كانت ترغمني عليها الظروف كالدعوة لالقاء محاضرة كان اعدادها يأخذ مني وقتاً غير قصير، وهناك مجلات كانت

والأخرى باسم (اولاد الخليلي) إلا ان كل هذه القصص وغيرها انما هي تعبر عن المجتمع الذي اعيش فيه فهي قصص واقعية او انها كتبت بأسلوب الواقع ليس فيها شيء غير الفن الذي يبعدها عن الحكمة، لاسيما رواية (الضايغ) و(رواية في قرى الجن) وغير ذلك، فقد يكون بعض ابطال هذه القصص لايزالون احياء.

التعامل مع الموضوع:

وكيف تتعامل مع موضوعاتك القصصية؟
- اما من حيث الموضوع فيغلب علي انه يختار في ذهني قبل الشروع في الكتابة، لأن الموضوع انما هو ما يقع تحت عيني من المشاهير التي تستلفت نظري، ولما كنت صحافياً وكان المطلوب مني الجلوس وراء مكتبي في جريدتي فهناك فقط انقل ما ارسم في ذهني من الصور وافرغها في قالب القصة اما الفراغ واما العمل في البيت

عندما طلبت من القاص جعفر الخليلي ان يحدد موقعه كقاص ضمن اطار مسيرة القصة في العراق بكل مراحلها اعتذر عن الاستجابة على اساس ان قيامه بهذا التحديد ربما دفعه الى الأناية والابتعاد عن الموضوعية. ويتحدث الخليلي:

(لقد سألني معجب ذات مرة كيف يمكنه ان يصبح قاصاً ناجحاً فقلت له: دونك ما ينبغي عمله، عليك ان تترجم بما يدور في خلدك لذهن القارئ بانواع من التخطيطات البراعة من قلمك للتعبير عن تدفق الخيال الغامر، وفي الوقت ذاته عليك ان تصور موضوعاً جميلاً فنياً تتجلى البراعة في استنباطه من بدايته حتى النهاية، اعمل ذلك وستكون كاتب قصة ناجحة).

يمكن ان يكون القرآن الكريم وانا صبي وهو الذي لفت نظري او عاملاً من عوامل تحبيب القصة إلي وزاد ذلك عندما تقدمت بي السن واستطعت ان أقرأ بعض تفاسير السور ثم اتيج لي بعد ذلك ان أقرأ العهد القديم من التوراة وما جاء فيه من قصص الانبياء، وحين درست اكثر وانا طالب في المدرسة تسنى لي ان أقرأ (كليلة ودمنة) وكان من الكتب المفروضة قراءتها على الطلاب، ثم جذبتني (الف ليلة وليلة) وكانت هنالك قصص تنشر في المجلات التي كانت ترد الى أخي كمجلة (المقتطف) و(الهلال) و(العرفان) و(الحارس)، فكنيت اتابع قراءتها وبعد ذلك كانت الحرب العظمى قد وضعت اوزارها، فدخلت العراق مئات القصص المترجمة التي اقبلت على قراءتها وتأثرت اكثر ما تأثرت (موبوسان) واعتبرته القصص الأول برغم ما قرأت كثيراً ليوشكين، وكوكول، ومكسيم غوركي وعلى الاخص تولوستوي وغيرهم، ولا يزال موبوسان يستولي على كل حواسي. وههل يمكن ان تصنف نتاجاتك القصصية ضمن اطر فنية معينة؟

اطن من الصعب ان اصنف هذه القصص اكثر مما فعلت فيما دل عليها الاسم، فهناك مجموعة باسم (اعترافات) واسمها هذا يدل على مضمونها، وهناك مجموعة باسم (حديث القوة) واخرى باسم (من فوق الرابية) واخرى باسم (هؤلاء الناس)،



السنة التاسعة عشرة

العدد ١٢٩٣

١١ رجب ١٣٧٩

١٦ مارت ١٩٥٤

حتى الطبيعة



بجفة الخليلي

الشأن، ولكي ادخل على نفوسهم السرور، وامناني رغبتهم، تلوت عليهم البيت التالي:
" ان قيل من اوفى اجبتكم ارخت اوفاهم لنا جيمي"
فقلت ابنتي وهل حساب هذا التاريخ مضبوط؟ وهل اني لو تعلمت كيف يجري حسابه وحسبته حصلت على تاريخ ميلاد

في نحو منتصف آذار من العام الماضي وقت احدى السيارات الخصوصية عند باب الحديقة ونزل منها سائقها، وهو يحمل جرواً ثم ضغط على الزر وحين فتح الباب قال:
- هذا هو الكلب الذي تطلبونه منذ سنة ولم تسن لنا الحصول عليه الا اليوم... انه كلب

جمي وتششه، وعلق به كل سكان الدار، واصبح جيمي بزن محبهم فيقبل عليهم على قدر رغبتهم واستعدادهم لقبوله، وشب وشبت معه مواهب اصبحت حديث الجمع، فهو كثيراً ما يطرُق باب الدار لينبه اهله الى ما تسوه في الحديقة من الالسة او الاواني او اي شيء يكون بإمكانه حمله الى الباب لتسليمه اليهم.
وهو يتعمد ارجاع الدجاج الى الفن اذا ما اغفل احكام باب الفن او ترك مفتوحاً على مصراعيه، الى المستشفى ليقتضيه اسبوعاً، وحين عاد التي نفسه تحت اقدام كل من رأي في البيت وبكى، ولم اكن اعرف ان الكلب يبكي او ممن تظهر عليه اعراض البكاء الا في هذا اليوم.
ولم تمر عليه بضعة شهور حتى كان قد اشهر بعدد كبير من المزايا بين عدد كبير من رآوه عن بعد او كتب وحيث هذه المزايا البعض سرقه فسرق، وحزن الاطفال والمعارف عليه ايضاً حزن، وراحت كل المحاولات لمعرفة ماواه ومعرفة

عند كل واحد ولقبيل منه رجليه ويديه ولكنه ترك في الحديقة، وما كاد يصيح الصباح: الا وكان يفعل ما فعل عند عودته من المستشفى واكثر!!
حتى الجيران قد عرفوا جيمي واحوه، وعرفهم جيمي واجهم، انهم يسألون عنه بلهفة كمن يسألون عن عزيز من الاعزاء، فهو (كثرة) من عاطفة تجاوزت حدود الرقة وخرجت عن طبيعة الكلاب الى طبيعة انسانية سمت الى اعلى درجات الصفاء!!
وفي شهر كانون الثاني من هذه



الثاني من اليمين : خليل مردم بك - محمود صبحي الدفتري - الخليلى
في يوم الجيش الايراني (السفارة الايرانية في بغداد) ١٩٥١

عملاق فقدناه

جعفر الخليلى

1985 - 1902

باسم عبد الحميد حمودي

القصة الموباسانية حيناً والى الحكاية المتمتعة بحالة من التشذيب واصطناع المقدمة القصصية المألوفة والذروة الدرامية والختام وهم في ذلك يملكون فضل التأسيس.

جعفر الخليلى وحده من بين الجميع انصرف الى القصة كتابة واصداراً واصدر جريدة الهاتف ثم عددها القصصي وكتابتها السنوي ليكون كل هذا الجهد في خدمة القصاصين العراقيين والعرب حتى توقف عن العمل الصحفي الرائد هذا منصرفاً الى بعض المشاريع الأخف جهداً بسبب التعب ونعقد الحالة السياسية قبل الثورة.

اهتم جعفر الخليلى بتصوير الحالة الاجتماعية في قصصه القصيرة ورواياته (الضائع، في قرى الحب، كنت معهم في السجن، وغيرها) ولم يهتم بالجانب الفكري المباشر لأنه كان يحاول طرح النموذج الاجتماعي العادي وصولاً الى الايحاء بالحالة الفكرية.

واذا كان جعفر الخليلى قد كتب القصة ضمن مواصفاته الخاصة تشذ عن قنيتها الحديثة ووجد في نفسه القدرة على ان يخلط صيغة المقالة بالأداء القصصي وان يتدخل وسط النص فان هذه (السلبيات) الفنية ينبغي ان تؤخذ مقابل زمنها فقد اهتم الخليلى بكتابة هذا اللون من الادب الذي لم يكن يعتبر ضمن صنوف الادب الأخرى كالشعر والبحث حتى اوقفه كجنس ادبي على قدميه هو والرجال الآخرون الذين ضحوا في سبيل جمال الكلمة وعطاء الابداء الذي قدموه للنفس تحت هذا الباب الواسع المطل على الحياة.. باب القصة والرواية.

قصيرة لتظهر قصته (المطر) في العدد الثامن عشر من السنة الأولى لجريدة الهاتف التي اصدرها هو عام ١٩٣٦ في النجف ثم نقلها الى بغداد بعد ذلك.

ومن يتتبع فهرست د. احمد يجد ان الخليلى قد نشر معظم قصصه في الهاتف وان روايته (الضائع) قد نشرت في مجلة (الدنيا) الدمشقية لعبد الغني العطري ومجلات (اهل النفط) و(الجزيرة) و(العدل).

ان ثلاثة عشر عملاً ادبياً بين قصة ومجموعة قصص ورواية يبدأ تاريخ صدورهما منذ عام ١٩٢٢ حتى ١٩٥٦ بالإضافة الى عشرات الكتب الأخرى في تاريخ القصة العراقية والذكريات الأدبية والتاريخ لكتاب واحد ليست عملاً هيناً، فقد ودعنا جعفر الخليلى في بداية شباط الماضي عن واحد وثمانين عاماً حافلة بالعطاء ولست اجد جملة واحدة تكفي لاختصار انجازات هذا الرجل الذي شكل مع ذا النون ايوب وعبد المجيد لطفي ثلاثي الاداء القصصي الواقعي بعد محمود احمد السيد وكانوا عمالقة القصة العراقية الذين ارتكزت عليهم كل التجارب التالية حيث حفروا الأرض البياب باصابعهم ليكتبوا لنا قصصاً (حديثة) بالمعنى الذي اصطاحوا هو عليه لا بالمعنى الذي اصطاح عليه المجددون الذين تبعوهم مثل فؤاد التكريلي وعبد الملك نوري ومحمد روزاجي.

ان نتاجات الثلاثة الأواخر الأولى كانت مشابهة لنتاجات الثلاثة الرواد قبل ان يلتفتوا الى ما حولهم وما يجري من تجارب في العالم فيحاولوا بين قصصهم والسرد العادي والرؤية من الخارج، لقد نقل الخليلى ولطفي وايوب القصة من جو المقامة والسجع والحكاية العادية الى جو اقرب الى فنية

كتب الراحل العزيز مجيباً على استفتاء مجلة (الكتاب) عن تجارب كتاب القصة يقول: يرجع تاريخ ميولي الأولى الى القصة وشغفي بقراءتها الى أيام الطفولة يوم كنت طالبا وعمري دون العاشرة ولعل اول كتاب حبيب إلي القصة السلسلة المسماة بـ (مدارج القراءة) وهي سلسلة اعدت حلقاتها حسب ملكات الصوف لتكون كتب قراءة، ثم يستمر جعفر الخليلى متحدثاً عن بواكير شغفه بهذا اللون من الأدب وتأثره بعالم ألف ليلة وليلة، وكتابه رغم ممانعة الأب قليلاً في اتمامه ألف ليلة وليلة ما فيها من لغة ومشاهد لا يريد لولده ان يكون على معرفة بهما.

وتتوضح صورة ألف ليلة وليلة عند الخليلى عندما يقول انها (صنيعة الزمان) اي انها (وليدة عدة مؤلفين فكل زمان كان يضيف عليها كاتباً وينسبها الى الاصل، وهو يحدد اصل الف ليلة وليلة بانه (لم يزد على قصتين او ثلاث قصص كتبت اول ما كتبت في القرن الثاني للهجرة).

ولست اريد ان اناقش هذا الرأي الجريء في هذه الملحمة بقدر ما أردت القول ان الراحل قد تعلق بفن القصة وهو صبي صغير وكتب (التعساء) عام ١٩٢٢ وهو يعتبرها قصة ويود لو انه لم يكتبها فيما لا يتحدث عنها احد النقاد بشيء سوى الدكتور عبد الإله احمد الذي يشير اليها في فهرسته عن القصة العراقية كأول مطبوع للخليلى دون ان يحدد هويتها (قصة طويلة) مجموعة قصص، (رواية) كعادته في حقل القصص المنقرقة يذكر د. احمد ان اول قصة منشورة للخليلى هي القدر في جريدة الوطن في ٢١ حزيران ١٩٢٩ حيث يتبعها في ذات الجريدة بعدة قصص

هذا الكتاب فيسميه (بالركة) وان مثل هذا قد أقرأه ولكني لا أؤخذ كاتبه على ما يكتب لأنني اعتقد ان المنتج مني خرج من يد صاحبه صار ملك الناس، وللناس وحدهم ان يقولوا فيه ما يريدون ان يقولوا، وكيفما كان الأمر فاني لقيت من كبار الكتاب اكثر ممنا استحق وانا اقول ذلك ليس من باب التواضع، وكان من بعض هذا التقدير، ان اقام لي الاستاذ سالم الالوسي حفلة تكريم بمناسبة اليوبيل الذهبي واقام لي مثله فؤاد عباس وجرى مجراه الحاج طالب، ولو لم ارج والنج واصر على الاكتفاء لتوسعت وقد شارك فيها خبرة اهل الادب بكلماتهم وشعرهم، كان من بينهم العالم الكبير خليلي الله خليلي سفير الافغان وعميد السفراء ببغداد، وكان من بينهم فضيلة الشيخ جلال الحنفي، والطبيب البارح الدكتور عبد المجيد القصاب، وفؤاد عباس والشاعرة رائدة الشواعر ام خلدون وغيرهم.

قصاصون بلا نخيرة:

وهل نتعتقد ان التطورات القصصية الحديثة قد تجاوزت كتابات الرواد؟ قد يذهب بعض شبابنا من القصاصين الجدد الى هذا ويعززون سكوت القصاصين السابقين الى العجز، في حين يذهب اولئك القصاصون الى ان القصة قد خرجت عن حدودها كما خرج الشعر الحر عن حدوده، ويذهبون الى ان القصة والشعر ليست من السهولة بحيث يزاولها شباب في العشرينات وقيل العشرينات ولا ينجح فيها إلا العبقري النابغة ويقول هؤلاء ان ليس من المعقول ان يكون كل هؤلاء الشباب من النابغين العبقرة، فالقصة والشعر بحاجة الى قراءات كثيرة وتنبع كثير لكي يستطيع الذي اوتي مكملة الفن بالقطرة ان يكتب شيئاً، وانا اعرف ان الجواهري الشاعر يحتفظ من الشعر اكثر من عشرين الف بيت لخيار الشعراء وهذا بالإضافة الى ملكته الفطرية هو الذي خلق منه هذا الشاعر الكبير.

لقد اخبرني الاخطل الصغير (بشارة الخوري) انه يحفظ اكثر من عشرة الاف بيت، ويقول هؤلاء، وانا انقل اقوالهم واضم قولي اليهم بان هذا الذي يريد ان يكون قصاصاً يجب ان تكون لديه نخيرة جد كافية من القصص الى جانب فطرته، وان التجمل في بلوغ القمة ليس من الامور التي تجعل منه قصاصاً.

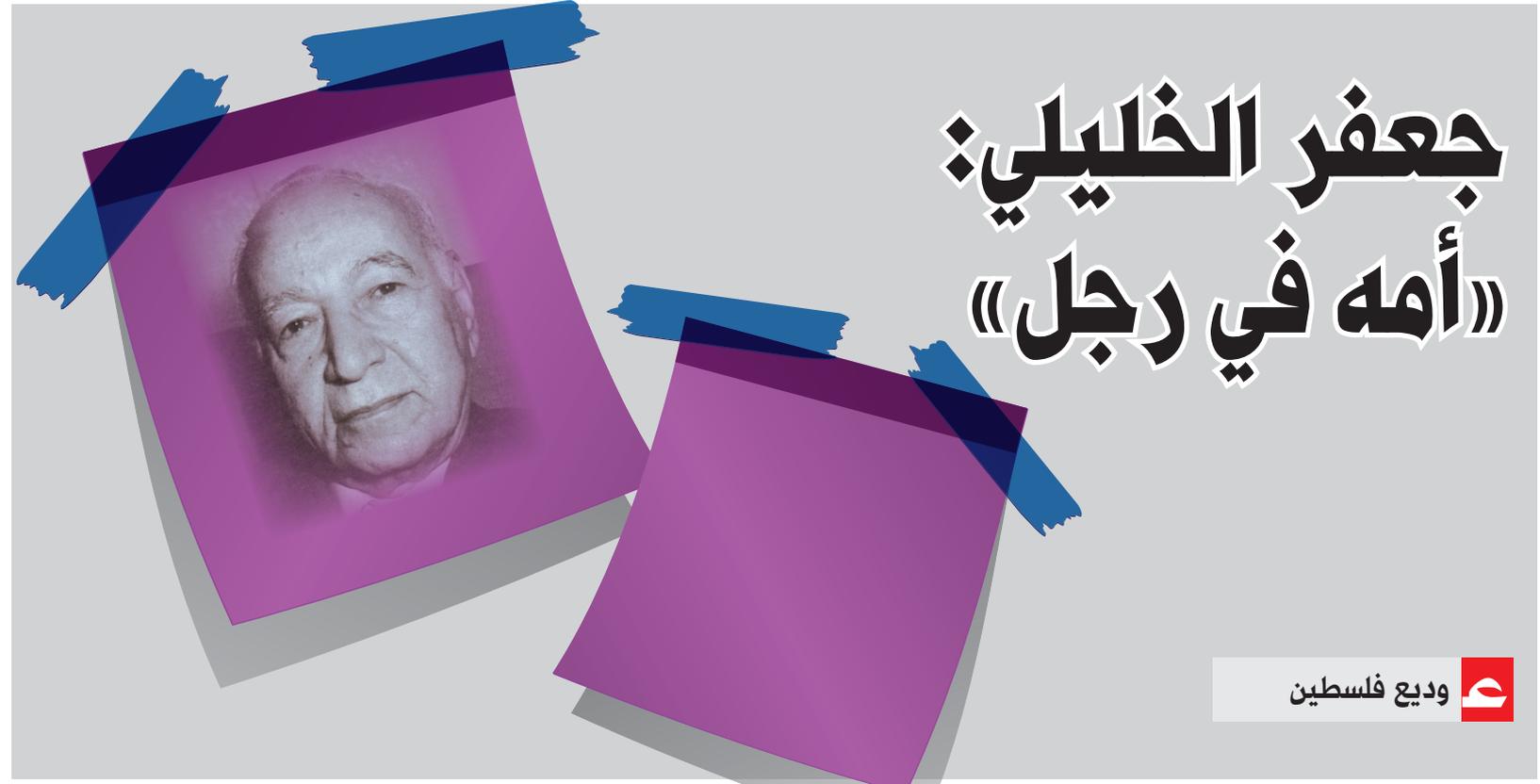
جاذبية القصة:

ويرى الخليلى ان القصة ينبغي ان تكون مستندة الى جاذبية خاصة، تجذب القارئ الى مطالعتها، كما يجذب الشعر بموسيقاه وقافيته.

كما ان احداث ووقائع القصة ينبغي ان تكون مندمجة ببعضها ضمن اطار الحادث المركزي، وباعتقاده، ان اخفاق العديد من القصص انما يعود الى عدسة القاص المشوشة، فهي تخرف عن الموضوع الاساس لتظل في التفاصيل الثانوية، او تفقد الرؤية الصحيحة للهدف المقصود.

جعفر الخليلي: «أمه في رجل»

وديع فلسطين



العراقية لجريدة «السياسة الاسبوعية» التي اصدرها في مصر الدكتور هيكل باشا وجعلها منتدى فكرياً منصوباً لأمة العرب قاطبة، وعلى هذا النسق عينه سارت جريدة «الهاتف» منذ انشائها في عام ١٩٣٥ والى احتجابها في عام ١٩٥٤ بعد انتقالها من النجف الى بغداد، فكانت ميداناً لأقلام ادباء يعرب في الوطن والمهجر، وكانت تتوخى هدفين ساميين هما: اعلاء شأن الأدب وعقد أسباب الوثام بين الإدياء العرب، هكذا صارت «الهاتف» بستاناً ادبياً نفتقر الى مثله اليوم، وفي سبيل الحفاظ على المستوى الأدبي الرفيع لهذه المجلة باع الخليلي متاع بيته وهو قد اضطر أيضاً في اخريات عمره الى بيع مكتبته الخاصة بدرهميات تصون كرامته

وتكديسها حتى صيروا وطنهم اوطاناً ودارهم دياراً وامتهم أمماً ورحم الله الشاعر المهجري اليأس فرحات الذي استهول ان تكون دول العرب سبعا، فكيف وقد أربى عددها اليوم على العشرين وهو القائل:
إذا كانت الدولات سبعا ليعرب فكم دولة تستوعب الصين والهند؟
نشأ جعفر الخليلي في النجف في بيئة علمية دينية ادبية وهو من مواليد عام ١٩٠٤ وفي النجف تعلم وتمرس بالحياة ادبياً وفقها، وفيها أصدر جريدة «الفجر الصادق» عام ١٩٣٠ وجريدة «الراعي» عام ١٩٣٤-١٩٣٥، ثم اصدر جريدته المخلدة «الآيات» «الهاتف» وهي برسالتها وشكلها وطابعها ومنهجها تكاد تكون الطبعة

الأدبية المرموقة التي يتمتع بها صديقنا الاستاذ جعفر الخليلي الذي تخصصه هذه الدراسة الجامعية بالتفصيل والتحليل. نعم، لقد كان جعفر الخليلي مجموعة من الرجال تكاملت في شخصه، واختلفت في نسيج انسانيته وتغلقت بخلقه وقيمه ومثليته. ومن الواجب الحتم التعريف بهذه الشخصية الفريدة لجمهور ينبغي ان يعرف لهذا الرجل فضله وايداه لاسيما وهو يؤمن. كما نؤمن معه، بانه وطناً العربي وطن واحد للضاد، يتعالى على ضغائر ما ابتدعوا وصنفوا ورسما من سمات وهويات وتأثيرات واستمارات ونماذج واسماء ومسميات، وما شئت من اوراق تعبقر العرب في استنباطها واستحداثها وتضمينها وتزويقها

باحث من الثقافات في جامعة ميشغن بوضع رسالة دكتوراه عن الخليلي ودوره الرائد في الأدب الروائي العراقي، وفيها احاط بجانب واحد فقط من جوانب الخليلي المتعددة، وما كان له ان يحيط بجوانبه الأخرى لاتساعها وتراميتها وترحبها. ولقد كان من اسباب سعادتي ان اشتركت في ترجمة هذه الرسالة الجامعية مع الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ الاكسفوردي، كما كان جميل التوفيق ان قدم لهذه الرسالة محمد عبد الغني حسن فاجمل القول وركزه في عبارته الختامية ونصها.
«ولا شك أن اجتماعنا هنا ما بين مسلم ومسيحي، وشرقي وعربي، ومصري وعراقي، وسني وشيعي، وعربي وأعجمي، هو اجتماع واجماع على المكانة

في موكب جنازي مهيب رحل عنا الأديب العراقي الكبير جعفر الخليلي في الثاني من شباط ١٩٨٥، وكأنما شاء ان تكون رحلة النهاية رحلة يؤنسها فيها صفاؤه من الأعلام. فممن مطلع العام المذكور والمنايا تفكك بكبار الباقيين من اعلام أمتنا العربية، وموكب الموت في مسراه يخطف من بيتنا الدكتور فؤاد صروف محرر «المقتطف» العنيد الذي توفي في بيروت في العشرين من يناير، ثم محمد عبد الغني حسن اديبنا المصري الكبير الذي غادرنا في صمت في الثاني والعشرين من يناير، ثم جعفر الخليلي الذي ودع الدنيا في الثاني من فبراير ثم احمد حامد الصراف مترجم ربايعات عمر الخيام الذي وافته منيته في حوالي منتصف فبراير في العراق، ثم الشاعر السوري علي دمر الذي توفي في السعودية في شهر مارس واخيراً - وليته كان آخراً - عامر العقاد الذي اختصر رحلة الحياة وغادرنا في الرابع والعشرين من مارس، فياله من موكب حزين، أنه حرم الضاد اعلامها المنحورين، فقد فجعنا معشر أوداء هؤلاء الأعلام في صداقات لنا امتدت على رقة العمر وكانت زادا للنفس، ومنبعاص لموحيات الصفاء وملاذاً تستجير به من هجير الحياة. ومن الجنائيات التي لا تفتقر لمجتمعنا الأدبي أن الاجيال الطالعة من الأدياء تكاد تجهل حتى الكبار الكبار من اعلام المفكرين في عالمنا العربي، بل في وطننا المصري، اولئك الاساتذة الذين استفاضت آثارهم ومآثرهم، وعاشور يخدمون الضاد من ريق العمر الى منتهاه، وذادوا بأمانة وشرف وتقديس عن مثلى القيم وفضلى المآرب وعظمى الغايات، واغنوا الفكر والعالم والعرفان بنفائس المحبرات، وكانوا على الدهر صوى في طريق الفكر الحضاري، وأئمة في محراب الكلمة النيرة ورسلاً ينطقون باللفظة المبينة، والحرف الصادق والرأي البناء السديد.

ومن المجني عليهم في دنيانا الادبية حبيبنا الراحل جعفر الخليلي الذي كان أمة برأسه ومجموعة من الرجال لا تتكرر. وها هو عمله وأثاره وريادته وقد فرضت نفسه على الجامعات الامريكية، فقام



الخليلي متحدثاً مع السفير التونسي محمد الحبيب

ولا فضيلة ذبحية ولا غلبة لفاسق على صالح، وهو في جريدة «الهاتف» لم ينطق عن هوى، ولا ازدهاء مجد أو مال، فكان مثالا للصحفي الشريف النظيف القلم والضمير.

وصفوة القول ان حساب الربح والخسارة في حياة الخليبي يمثل ارسدة ربحية في جوانب القيم والاخلاق والمثل، وارسدة مكشوفة في ابواب المكاسب والمغانم والماديات. وما هو يموت غريبا عن بغداده الحبيبة ونجفه الذي ثوى فيه ابوه واجداده فلفظ آخر انفاسه في دبي بعد ازمة قلبية باغته وهو يشد بيده الابوية الحانية على يد ابنته الغالية فريدة.

ألا رحم الله ابا فريدة، ونفعنا بسيرته الزكية وحياته الرخية .
القاهرة في الثامن من ابريل (نيسان) 1985.

مجلة الهلال 1986

كتاباً كبيراً عن الثورة العراقية الكبرى، ولخص كتاباً عن العرب واليهود في التاريخ، وصنف كتاباً عن جغرافية البلاد العربية وعني في الفترة الأخيرة بدراسة تاريخ الحواضر العربية. فيالها من حياة خصيبة اربت علي الثمانين من الاعوام، حفلت بالعتاء وجني الثمار، وانبعثت بكل مآثيها من ينبوع القيم والفضائل، وليس بمقدورنا ان نرد جميع آثار الخليبي خصائصه التي تميز بها وعرف. فوفائه لأحبابه هو الذي حدا به الى انصافهم في السير التي عقدها عليهم. واشواقه في العالم المثالي هي التي حفزته على تسطير ما كتبه عن المدن الفاضلة التي اخترعها وصورها ادق تصوير، وايمانه العميق هو الذي دفعه الى اخراج موسوعة العتبات المقدسة، وحبه للانصاف هو الذي وضع في يمينه قلم الناقد البصير فجات دراساته النقدية بدعا في التقييم والتقويم، ولست تجد في ادبه الروائي موقفا نابيا

قارنه في ان مؤلفه قاض لا غش فيه فلما جرب منصة القاضي بالخيال، شاء ان يجرب حياة السجون بالواقع فتقدم بطلب الى السلطات راجيا ان يزج به في السجن لتتاح له فرصة دراسة اوضاع المسجونين عن كثب، والوقوف على مأسيتهم، واستصفاة العبرة من حياتهم البائسة. فوافقت السلطات على ابداعه احدي الزنانات، وعاش حياة السجن بجميع دقائقها، وخرج ليصدر كتابين كبيرين داخلين بالجوانب الانسانية وبما وقف عليه من تفاصيل كان هذا سبيله الوحيد الى الوصول اليها. وعني في كتابه بالاشارة الى السبل الكفيلة بمعالجة اسباب الاجرام وصولاً الى المجتمع المثالي الذي يعيش فيه الناس في حب وتواد ونقاء وصفاء. وكان طبيعيا ان يطرق الخليبي باب التاريخ وميدان الجغرافيا، فهو كما نكرنا متعدد الاهتمامات متشابك الغايات فوضع

المقدسة» وهي موسوعة تاريخية جغرافية عن البقاع المقدسة، كانه في تقديره ان تقع بعد اتمامها في اكثر من عشرين جزءا. ولكنه الخليبي كان يملك الهمة والعزيمة والصبر على البحث، ولكن هذه الارضدة الثلاثة تصبح صفراً ان افقدت رصيد المال، وهكذا بقيت هذه الموسوعة ناقصة، واني لها بمن يتصدى لاتمامها.

وكان الخليبي يجيد اللغة الفارسية اجادة تامة، فنقل عنها شعراً ديواناً اسماه «نفحات من خمائل الادب الفارسي» كما اعد دراسة مقارنة عن التعارض بين الادبين العربي والفارسي، وله دراسات ادبية عن النجف، ودراسات اخرى عن الحواضر العربية فضلاً عن انه له ديواناً لشعر الوجدانيات تحت الطبع. وقد استبدت بالخليبي رغبة «عارمة في ان يصلح المجتمع باراته ونظراته، فتخيل نفسه قاضيا يجري العدل بين الناس ويعالج ما اعوج من امورهم، والف كتابا عن تجارب القاضي لا يستريب

وتبقي على عفته. إنها تجربة في الصحافة الادبية خاضها الخليبي بمفرده، وانسحب منها بعد اغلاق «الهاتف» بقرار اداري في وقت يكاد يتزامن مع احتجاب «المقتطف» لصروروف و«الرسالة» للزيات و«الثقافة» لأحمد امين و«الكتاب» لعادل الغضبان و«الكاتب المصري» لطف حسين و«المفصول» لمحمد زكي عبد القادر و«مجلة علم النفس» ليوسف مراد وكان هذه المحلات العلمية جميعا كانت على موعد وميقات مع الموت! هذا عن الصحفي جعفر الخليبي. اما ريادته التاريخية المذكورة فتتمثل في ميدان القصة الذي سبق الى خوضه وبرز فيه، لا ادبيا مبدعا وحسب، بل مؤرخاً للقصة كذلك. فهو في مجموعته «قرى الجن» يخترع عالماً مطولاً او مدينة فاضلة يعيش اهلها ناعمين بالحرية والعدالة والسلام. وقد اختار الخليبي هذا الاسلوب الرمزي في القصة لكي يتخلص من مأزق الواقع في عالم غير طوباوي وهو اسلوب في انطاق الحيوان او الجن دروس الحكمة، لجأ اليه الفيلسوف بيديا في «كليلة ودمنة» وتوفيق الحكيم في «حمايراته» وكامل كيلاني في كتب الاطفال التي صنفها. وللخليبي آثار روائية اجري بعضها يتخذ شكل اليوميات، وبعضها يجري مجرى الاعترافات وبعضها يقوم بدور البطولة فيه اولاد الخليبي نفسه، وبعضها ينحو منحى النقد الاجتماعي الذي يساق في قالب قصصي.

على ان من امتع الاثر الادبية التي اصدرها جعفر الخليبي كتابه العظيم الموسوم «هكذا عرفته»، وقد اصدر منه حتى الان ست حلقات ضخام، وهناك حلقات اخرى لم يتح لها الصدور في حياته وهو في هذا الكتاب يتجرد إلا من انسانيته وادبه، ويروي باستطرادات مستلهمة نكرياته عن الاصدقاء الراحلين، وكلهم من كبار الشعراء والادباء والعلماء، فيسوق اطرافاً من حياتهم وتوادهم وفكاهاتهم ومسامراتهم، وينقل من رسائلهم العشرية والنثرية التي كانت من شهودها او الخاضعين فيها ويميط اللثام عن كثير من الآراء التي لا تستعلن عادة من الكتابات المنشورة، ويورد ما لا تعرفه الناس عن شاعر كبير كالصافي النجفي، او عن شاعر مهجري متميز كجورج صيدح، او عن مجاهد عربي عظيم كمحمد علي الطاهر، او عن اديب سوري عصامي كسامي الكيالي او عن شاعر مهجري مرموق كالعباس فرحات، او عن العلامة الوطني الكبير عجاج نويض، وهلم جرا.

وفي اعتقادي ان هذه السلسلة النادرة المثال من الكتب تسد فراغاً كبيراً في ادب السير والتراجم لانها تدور جميعاً حول رجال عرفهم الخليبي وكانت له معهم عشرة وصدائة طويلتان، فخير من امورهم واحوالهم ما لم يتح لسواه، واتى بما لا يسع غيره ان ياتي به إلا بالمخالطة والمصاحبة وطوال المطارحات. ويحتفظ الخليبي باضابير كثيرة من الرسائل الخاصة التي ظل يتبادلها مع اصحابه واعلام عصره طوال اكثر من ستين عاما وهي ومن واقع متابعتي الشخصية لرسائل الخليبي فانها تعد ذخيرة ادبية وتاريخية ينبغي ان تصان من عبث الايام.

ولئن كان الخليبي قد عالج موضوعات تستغرب منه، ككتابه عن التمور العراقية وكتابه الذي سماه «تسواهن» وهو نظرات في الغناء والرقص والجمال، فقد انصرف الى الاعمال الموسوعية البانخة باخرجه ثلاثة عشر جزءاً من «موسوعة العتبات



الخليبي - الصافي النجفي - ناجي جواد الساعاتي

بقيت النجف قرناً مديدة معقلاً من معاقل الدين واللغة، عزلتها الطبيعة في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا نبات، وحرمتها الرياض الزاهرة والحقول الناضرة، وأكسبت أهلها صرامة وجداً وصلابة وجفاءً وزهداً في مباحج الدنيا وملاهيها، دارت الحياة حول الروضة الحيدرية المطهرة، وانتشرت المدارس يؤمها طلبة العلم من اقاصي البقاع ودانيتها ليجلسوا على البسط والحصران بين ايدي المؤدبين والمدرسين وليقبضوا اعواماً طويلة في المطالعة والحفظ ومراجعة الكتب الصفر العتيقة التي طالعتها وحفظها وراجعها ابناء الاجيال المتعاقبة. وقامت لمقابر تمتد من ظاهر البلدة وتلاصق مساكن الأحياء وتزاحمها وتدافعها.

قال الصافي النجفي:

صدق الذي سمّاك في وادي طوى

يا دار، بل وادي طوى وعراء

جلست على الأنهار بلدان الوري،

فعلام انت جلست في الصحراء؟

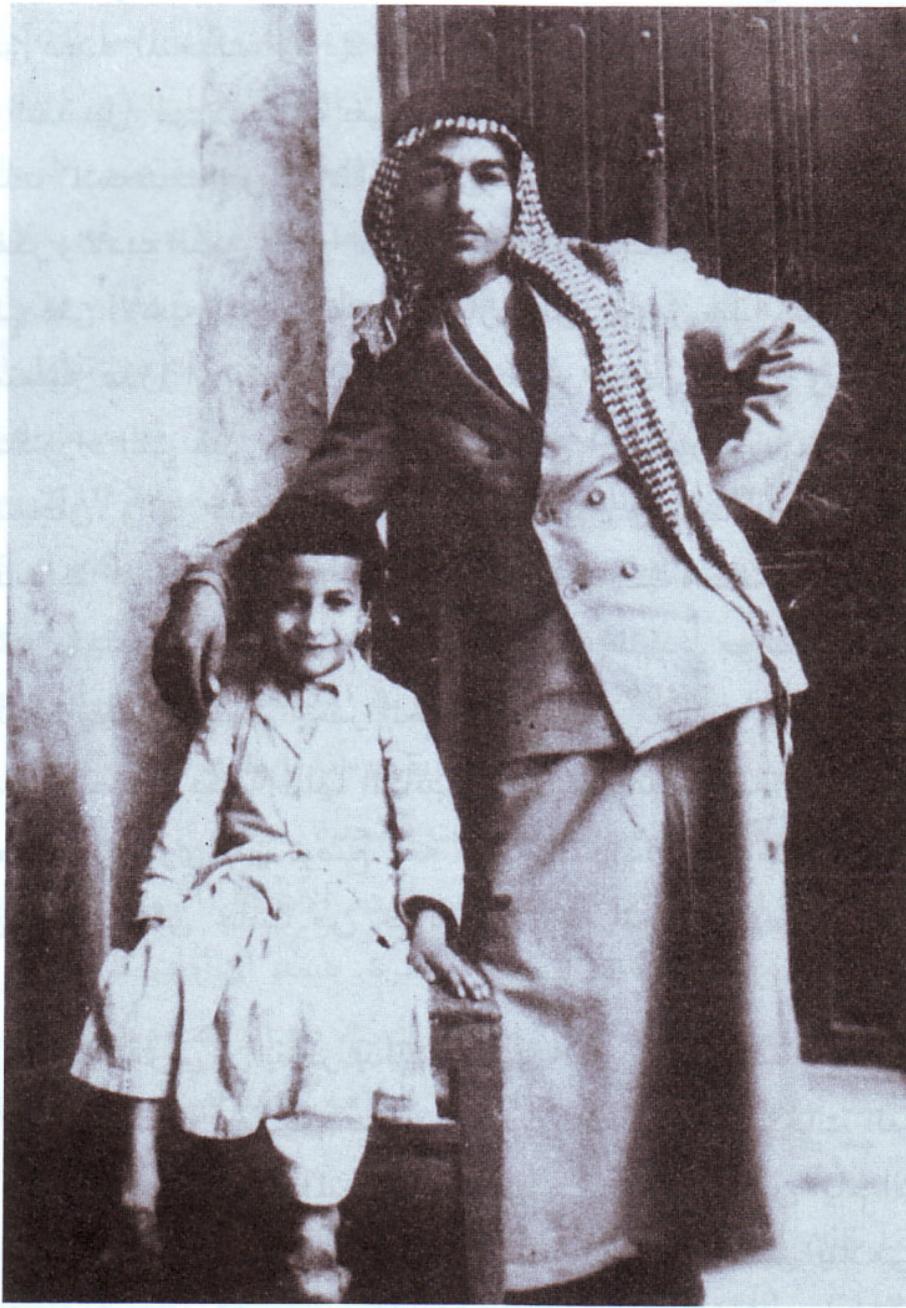
وقال:

فصادرات بلدي مشايخ وواردات
بلدي جائز

وهبت على المدينة الهرمة في مطلع القرن العشرين نسائم التبدل والتحويل، فنادى فريق من العلماء بالتجديد والإصلاح، ودعوا الى انشاء الحكم الدستوري في ايران وتقييد السلطة المطلقة. وتبعته زمر الشباب المحمّس الذي خذ يطالع مجلات مصر ولبنان والشام وينظم الشعر في المطالب السياسية والاجتماعية. وانشئت الى جانب المساجد ودور العلة القديمة، مدارس عصرية تعني بتدريس بسائط العلوم الحديثة. واصطرت الافكار بين القديم والجديد اصطراعا شديداً لا هوادة فيه ولا لين، ومهدت السبل للانتفاض على السلطة التركية أولاً وعلى الاحتلال البريطاني بعد ذلك، وهيئت النفوس للمتمرد على الجمود ونبد البدع التي التفت حول لدين وكلمت مظاهره. في تلك لنجف المنحرفة لمصطرعة المتطلعة ولد جعفر الخليلي سنة ١٩٠٤. وكان ابوه الشيخ اسد من رجال الفضل والأدب يتعاطى الطب القديم شأن الكثير من افراد أسرته. تلك الاسرة التي انجبت ايضاً على مر العصور رجال دين بلغوا قمة الزعامة الروحية. ونشأ جعفر بين سرّة منفتحة في بيئة مترمّنة. وانتمى الى المدرسة العلوية التي انشئت قبل عهد قصير لتعليم الصبيان على اسس حديثة. واقبل على مطالعة الكتب الأدبية والمجلات بفهم شديد، وقرض الشعر وهو يافع.

وحدثت في النجف في أواخر العقد العثماني وبداية الاحتلال الانكليزي حركات وطنية طاعية اشترك فيها اخوه الاكبر عباس ووالده، لكن جعفر لم يبلغ السن التي تؤهله للعمل فاكنتى بالتطلع اليها والمساهمة فيه بفكره وروح. ومال الى الكتابة فوضع، ولم يك يد يشرف على عامه لثامن عشر، قصة انسانية بعنوان (التعساء).

وامتهن التعليم عشرة اعوام في الحلة والنجف وسوق الشيوخ والريمية، وكان مدرساً للتاريخ والجغرافية في المدرسة الثانوية بالنجف ثلاث سنوات واصدر في تلك الاثناء جريدة (الفجر الصادق) الاسبوعية (٧ آذار ١٩٣٠)، وكنت حرة النزعة، تدعو الى النهضة والإصلاح، فاضطر على غلقها في تشرين الأول ١٩٣٠ بعد ان انزرت السلطات المسؤولة بعدم الجمع بين التدريس والصحافة. واستقال من التدريس سنة ١٩٣٣، ثم



الخليلي في شبابه (النجف) ١٩٢٢ والجالس ابن أخته أمان بن أحمد الخليلي

جعفر الخليلي

مير بصري

اربعة اجزاء (١٩٦٣ - ١٩٧٣) موسوعة العتبات المقدسة وصدر منها ١٣ جزءاً (١٩٦٥ - ٧١) الخ.

وله عدا ذلك مصنفت مخطوطة منها، نصيب بغداد من قصة كلبلة ودمنة، صفحات من الجبل الماضي، الخ، اصدر جعفر الخليلي الجزء الخامس من «هكذا عرفتهم» (١٩٨٠) ثم الجزء السادس (١٩٨٢).

تغلب على قصص الخليلي الصيغة المحلية، لكنها مع ذلك انسانية الشمول، فالبشر هم هم مهما اختلفت عصورهم واقطارهم، وان النماذج البشرية التي رسمها الخليلي لتجتمع في مناخ كثيرة بشخص بوكاتشيو الايطالي وموباسان الفرنسي واو. هنري الاميركي على تباين الزمان والمكان، فمزعل الفحاح يطلب البركة ليوسع عليه الرزق ولترفه اسرته الكبيرة، وام حسن المطلقة التي ابعدها عنها ابنها وحرمت نعمة مشاهدته، وموسى الذي يعرف من اين تؤكل الكتف والذي سخر الجن توسلاً الى الانتال من دار اهله الى دار مستقلة فرشت له باحسن الرياش، وابو علي الرجل المرح الفكه الذي يبتدع طريقة شاذة فريدة لتهدئة نفسه السريعة الى الغيظ والخصام، وعبد اللطيف الحلاق المصارع الذي يهرب من وجه العدالة ويتخفى خمس عشرة سنة ليجد بعد ذلك انه لم يكن مجرماً ولم تكن هناك جريمة، والشيخ احمد المزدوج الشخصية، الشرس في اره، الهادئ الحي في السوق والشوارع، والحاج حسين البقال الذي اشتهر بامانته وتساهله وكرمه ثم ظهر، بعد موته، انه كان يغش بضاعته ويسرق زبائنه بمهارة جازت على الناس، والشيخ يبعون القروي الذي يتظاهر بالعظمة الفارغة ويتشامخ على الجهلاء والسذج ليحصل على المال فيقع في الشرك الذي نصبه لسواه، كل اولئك وغيرهم من اباطال قصص الخليلي لهم اقراهم ونظراؤهم في الازمنة الخالية والامصار النائية.

ان القاص الاميركي وليام سبدي بورتر (١٨٦٧ - ١٩١٠) الذي عرف باسمه المستعار (او، هنري) قد خلد في قصصه صوراً وشخصاً من الحياة الاميركية في عقد استعمال الولايات الغربية والجنوبية والتوغل في مجاهل الصحارى والسهول والجبال المترامية الاطراف، فروى احاديث المجازفات وبراعة النصب والاحتيال في البورصة المالية وعلى قارعة الطرق، وسذاجة اهل القرى، وبؤس الطبقات الفقيرة في المدن الغنية الصاخبة، في تلك الحقبة التي مرت وانذرت ولم يبق لها في الغداة من اثر. ويمكن القول ان الخليلي قد عمل لعراق النصف الاول من المائة العشرية ما عمله او هنري، في قصصه الساحرة، لامريكا منتصف القرن التاسع عشر، فرسم ببراعة فائقة ودقة واقعية وخالص فني جميل، الصور والشخص التي عرفها وسمع بها وتخليها في عقد الانتقال والتطور الذي مضى الى غير رجعة، ان معالم الحياة في النجف وحواضر الفرات وارياف الجنوب، وهي في مقدمة مسارح قصص الخليلي. قد تغيرت وتبدلت تبدلاً اساسياً خلال جيل واحد من جراء انتشار الثقافة ووسائل العيشة العصرية، وسوف تجد الاجيال القادمة صور تلك الحياة وغرائبها في (اولاد الخليلي) (والضائع) و(هؤلاء الناس) و(في قرى الجن) و (عندما كنت قاضياً) و(من فوق الاربانية) و(مجمع المناقضات)، وتطلع

الفكر والتسامح وتوسيع افاق المعرفة والثقافة. وضع مؤلفات كثيرة، منها، يوميات (في جزئين) ١٩٣٥، التعساء (١٩٢٢) الضائع (١٩٣٨)، عندما كنت قاضياً (١٩٤١) في قرى الجن (١٩٣٩)، من فوق الاربانية (١٩٤٩) تسواهن (١٩٥٣) على هامش الثورة العراقية الكبرى (١٩٥٢) مجمع المناقضات (١٩٥٣) اعترافات (١٩٣٧)

حديث القوة (١٩٤٢) اولاد الخليلي (١٩٥٥) مقدمة في القصة العراقية (١٩٥٧) هؤلاء الناس (١٩٥٦) جغرافية البلاد العربية (١٩٣٤) حبوب الاستقلال (١٩٣٦) خيال الظل (١٩٣٦) حديث السعلى (١٩٣٤) السجين المطلق (١٩٣٦) ال قتلة كما عرفتهم (١٩٣٦) نحات من خمائل الادب الفارسي (١٩٦٥) التمور قديماً وحديثاً (١٩٥٦) القصة العراقية قديماً وحديثاً (١٩٦٢) هكذا عرفتهم

اما جعفر الخليلي الرجل فهو، كما وصفه روكس بن زائد العريزي، «بعدة في الرجال، تكمن وراء لطفه المهذب رجولة حازمة تتم عليها نظرت فاحصة نفاذه. اناقة متناسقة تدل على نوق رفيع، ونكتة حاضرة بارعة يواكبها وفاء للصديق وانصاف للخصم وهذوء نفسي ينم على حياة عائلية سعيدة.

مولفاته وأدبه:

جعفر الخليلي أديب وصحفي وشاعر، وهو من رواد القصة العراقية، له اسلوب لطيف، سلس العبارة، قريب المتناول، يطعم كتاباته بالحكايات واللطائف والامثال الشعبية. كتب في السياسة والاجتماع والتاريخ والقصص والادب عامة، وبرع في وصف الحياة الاجتماعية ومعالجة المشاكل العامة وتصوير المجتمع والافراد والدعوة الى الإصلاح وحرية

اصدر جريدة «الراعي» (١٣ تموز ١٩٣٤) ، وقد عطلت لأسباب سياسية في ١٩ نيسان ١٩٣٥ ، واصدر جريدته الثالثة (الهاتف) في ٣ ايار ١٩٣٥ ، فكانت مدرسة سيارة عالجت فنون الادب وعينت بالقصة وظهرت مواهب جيل كامل من الشعراء والقصاصين، وانتقل الخليلي بهاتفه الى بغداد سنة ١٩٤٨ ، ثم جعل جريدته سياسية يومية (٢٧ كانون الاول ١٩٤٩)، مع مواصلة العناية بالقصة والادب واصدار اعداد ممتازة سنوية جامعة. وعاد الهاتف ادبياً اسبوعياً في تشرين الاول ١٩٥٢ حتى احتجب سنة ١٩٥٤.

انشأ الخليلي بعد ذلك دار التعارف للاعلان واخرج (موسوعة العتبات المقدسة) وهو مشروع ضخم نهض بعبائه وتولى بنفسه شؤون الادارة والتحرير والطبع والنشر والتوزيع وجدد لمساعدته اقالام صفوة من الادباء والباحثين والكتاب.

الخواطر) وكتاب (الشعر العربي والغناء) وقصة تمثيلية عنوانها (رهبان بلا دير). وفاته:

حين علمت بوفاة الصديق جعفر الخليبي بادر الى الكتابة الى ابنته فريدة معربا عن أمني وحرزني لهذا النبأ الفاجع. وقلت انه حي بإثارة الأدبية وحيي ببناته، واستشهدت بابيات من قصيدة احمد شوقي في رثاء شيخ وزراء مصر مصطفى فهمي باشا:

أَنْ البنات زهائر من رحمة

وكنوز حب صادق ووفاء

والصابرات لشدة وبلاء

والباقيات حين ينقطع البكا

والزائرات في العراق النائئ...

وقد جائني جوابها يقول: ((بكيت اليوم بكاء مرأ، ولا يعني انني نسيت البكاء، فهو يرافقتي منذ رحيل أبي، لأنني فقدت صديقا وإنسانا وأبا ومؤنسا في الوحدة والغربة، وبكائي اليوم جاء حسرة على أبي الذي مات وهو يلهج بك، مات وهو لا ينسك قط، مات في قلبه حسرة على من عرفهم واحبهم، رسالتك اثرت شجونني، اثارته ذكريات تلك الأيام الحلوة في داركم العامرة ومأكولات السيدة اللذيذة والبنات الجميلات الحبيبات. كان عسيرا علينا ان ننسلكم حتى في أوج محنتنا وغربتنا)).

ثم قالت ان اباهما كان يعاني الأم القارس والضغط العالي والقلب واشتدت عليه الوحدة القاسية، وليس معه غير ابنته فريدة التي رافقتها في كل مكان. وقد مضيا في السنوات الأخيرة إلى ألمانيا وفرنسا وسويسرا، وقالت انه كان يزور أختها في دبي شتاء. وشاء القدر ان تذهب فريدة معه لأول مرة، فاصيب هناك بجلطة قوية ونقل الى المستشفى حيث عاش اسبوعا وهو يتمتع بالصحة والراحة والعناية الفائقة. ونظم الشعر الجميل في مدح الطبيبات والعاملين على راحته... لكنه توفي في ٢ شباط ١٩٨٥، واقامت الفواتح على روحه في سورية ولبنان ودبي والشارقة، وجرى تأبين الاربعة في سوريا والشارقة وفي مصر برعاية نادي الأدب الحديث...

عن كتاب اعلام الادب في العراق

والأمر يتفاقم، والخليبي محصور في إدارته لا تلفون لديه ولا سبيل له لطلب المعونة ولا طريق للخلاص، فأحكم غلق باب الدار وسلم أمره لله منتظراً ما يكون. وفجأة قدم قادم من المهقي. وقال إن جنازة ((سمينة)) جيئ بها من الحلة، فصاح القوم واكثرهم من مرتزقة (وادي السلام) مقبرة النجف، لنذهب الآن ولا يفلت (المأزق) من بدنا في فرصة قريبة! ولم تمر دقائق معدودة حتى خلال الطريق، فخرج الخليبي وصاحبه وهما لا يكادان يصدقان بالنجاة - واسرعا بالمضي الى البلدة.

كلمة أخيرة:

أصيب الخليبي بداء النقرس واشتد عليه الألم، فقيه له، لا تحزن، فالنقرس داء الملوك، قال: الحمد لله الذي لا يحمى على مكروه سواء، أكون كل حظي من الملوك داعهم؟

حين اشتد الجفاء بين الحكومتين العراقية والإيرانية ونفي الاف العراقيين من اصل ايراني الى ايران بعد خروج محمد رضا شاه وتولي آية الله روح الله الخميني مقاليد الأمور، خشي جعفر الخليبي ان يبعد الى ايران، فالتجأ مع أسرته في ربيع سنة ١٩٨٠ الى عمان وأقام فيها. وزار خلال هذه المدة لبنان وألمانيا الغربية وفرنسا.

ونهب الى دبي بالإمارات العربية المتحدة لزيارة ابنته ابتسام فتوفي ودفن فيها في ٢ شباط ١٩٨٥. وكتب أكرم زعيتر على اثر وفاة جعفر الخليبي يقول ان لقاء الخليبي متعة للذهن وترويح للنفس وحديثه ينم على حضور البديهة وبراعة النكتة وسعة الاطلاع ولطافة الاستطراد وطرافة الاستشهاد بالشعر.

وقا إن الحديث دار معه حول ضعف الذاكرة ونسيان الاسماء فانشد الخليبي: فصرت إما عرضت حاجة مهمة اودعتها الطرسا فصرت انسى الطرس في راحتي وصرت انسى انني انسى وقيل له: ان جميع صحفبي العراق يلقبونك (ابو الصحافة العراقية)، فأجاب: (انا ابوها حين يريدون لعننا بقولهم: لعن الله أبا الصحافة!).

وقال زعيتر إنه علم ان الخليبي ألف في عمان كتاب (مما احتفظت به الذاكرة من

بالنجف، فجاءني رجل يلبس الكوفية والعقال والزي البلدي، وقدم نفسه ادبياً من بغداد، فرحبت بها اجمل ترحيب، وقال بعد هنيئة: إنني ماض الى الرياض وأرغب في مدح الملك عبد العزيز وولي عهده الأمير سعود طمعاً في صلتهما بعد ان كسد سوق الأدب في العراق. فهل لك ان تنظم لي قصيدتين في المعنى المطلوب، فقد خدمت القريحة واشتدت الحاجة واضنكت الأواء. قال الخليبي، فقلت: إن مجلس الأدب يلتئم في ((الهاتف)) عصراً، فلعلك إذا جئت حصلت على مأمك.

وجاء الرجل عصراً فوجد المجلس حافلاً بالشعراء والأدباء. ولما علموا بأمره هشوا له ويشوا، وأخذ كل منهم ينظم الشطر والبيت والبيتين حتى استقامت قصيدتان جيدتان في مدح الملك والأمير. فكتبهما الرجل بخطه وقرأهما مرة او مرتين، وسلم وخرج شاكراً.

ومضت اسابيع قليلة فاذا بالرجل يعود، وقد حسنت حاله وظهرت عليه مظاهر النعمة. واخرج من جيبه بشعة دنائير وقال: جزاكم الله وجزى الأخوان عني خيراً، فقد انشئت القصيدتين وفرزت بجوائز آل سعود. وها أنا ذا قد عدت غانماً، فأرجوا ان تعطي هذه الدنائير الى الشعراء الذين تفضلوا علي بالنظم.

لكن الخليبي اعاد اليه النقود وقال: لا داعي للشكر ولا للمكافأة، فاحتفظ بدنائيرك. ان الشعر يجري على أسنة أهل النجف، وهي التي قامت في الصحراء وحرمت الماء، كما تجري بجلة في بغداد وكما يجري الفرات في الحلة. ومتى بيع الماء بالنقد؟

حدثني جعفر الخليبي أنه حين أصدر جرائده الفجر الصادق والراعي والهاتف في النجف في مطلع سنوات الثلاثين كان يدعو الى حرية الفكر ومكافحة البدع والخرافات، فكان العوام والمشايخ الجهلة ومن لف لفهم يناوئونه ويكفرونه.

كانت إدارة جريدته خارج مركز البلدة يقابلها مهقي لحفاري القجور وقراء الفواتح وامتثالهم وتجاوزها أرض عفاء وفي ذات مساء كان في مكتبه وليس معه سوى عامل واحد شيخ، فاذا به يرى جماعة من العوام والابواش يحيطون بدار الجريدة وينادون بالويل والتبور ويهددون (الكافر) بالقصاص العاجل لي يرتدع عن غيه، وكان الجمهور يزايد

(المتوفي سنة ١٢٧١م)، وهي قصة رمزية تعبر عن الانسان بالحيوان، ولا أمل أن اروياها هنا، وحسبي ان أحيل القارئ عليها ليأنس بقراءتها ويفكر في حكمته ويخرج منها، كما يخرج من نفحات الخليبي جميعها، بمتعة روحية ولذة فكرية وسكرة شعرية. عرفت الخليبي وصحبته عواماً طويلة، وقضيت معه في دار الهاتف والتعارف وغير دار الهاتف والتعارف اوقاتاً ممتعة وساعات هنيئة مغمورة بالموودة والوفاء، مغمورة بالأدب والشعر، عطرة بانفاس اللذة الروحية والمتعة الذهنية، وكان، إذا سافر أو سافرت، اتصلت بيننا الرسائل، نتبادل الأفكار ونتنسم الأخبار ونبت اللوعة والشكوى، نتأسى بالأدب، ونفرح فرحة الديب بالأديب، وتلتقي لقاء القريب للقريب، وحسبي أن أورد ابياتاً أرسلت بها إليه في بيروت في صيف سنة ١٩٦٦ رداً على خطاب منه:

لك مني، أيا صديق حياتي،

ألف شوق يضوع ملء الجنان

وسلام مثل النسيم رقيق

وخطاب محمّل بالمعاني

أنا في بهجة وبسطة عيش

ورخاء يفوق حد الأمانى

حامداً للخليل فضل مزايا

وسجايًا قطفه فهدوني

بيد أني - وليس ذلك بدعاً -

أرهق الفكر في اتهام الزمان

أسهر الليل في اقتناص الدراري

وأخال المحال طوع البنان

واراني اردء اليوم شعراً

لحكيم اضربه المحبسان:

((علاني، فإن بيض الأمانى

نيت والظلام ليس بفان!))

ولجعفر الخليبي شعر رقيق منه رثاؤه لقرينته التي توفيت قبل عدة سنوات من لحاقها بها، قال:

أنسك، لا والله لا أنسك

أنسى، وملء جوانحي ذكرات؟

البيت بعدك معول لا صوت في

ارجائه إلا عويل الباكي

والباب بعدك مقلل لا زائر

يأتي ولا ضيف يؤم حمك..

الشعر في النجف:

حدثني جعفر الخليبي، قال: كنت جالساً في صباح أحد الأيام في إدارة جريدة الهاتف

على نماذج انسانية خاصة في بيئتها، عامة في المجتمع البشري طوال العصور، ذلك الى جانب المتعة الروحية التي تنبثق من الأدب الواقعي المخلص غير المصطنع ولا المفتعل، وجعفر الخليبي بعد ذلك اديب نواقة وشاعر مطبوع. وقد رأيناه في (نفحات من خمائل الادب الفارسي) يسدي يدا جميلة لاداب العربية والفارسية على السواء فكان - كما قلت عنه في مناسبة ظهور كتابه - اديب اللغتين وجامع الحسينيين والنواقة الذي يحسن الاختيار ويحسن النقل والنظم والاداء.

ان نفحات الخليبي باقة عطرة من الزهور، زاهية الالوان، مختلفة الاشكال، عبقة الاشضاء، وهي نافذة تطل على خمائل الادب الفارسي وتهيي للقارئ العربي ان يلم بشيء من روائع يعدي والفردوسي وحافظ وعرفي الشيرازي وعبيد زاكاني واقرانهم، وتجمع (النفحات) فنونا شتى من الشعر، ففيها الغزل:

قلت إن جئتني بفتك ما بي

من أليم الجوى وفرط الشقاء

أي شيء أبته، وانا إن

جئتني زال في مجبكت دائي؟

وفيها الهيام:

سألوني عن دار هاجرتي

قلت قلبي الموله الدنف

وفيها الحكمة:

هذي الحياة مراتع، وقطيعها

هذا الأنام، ونثبها الأجل

تغتال منه كل أن واحدا،

فترى ولا يتراح منها البال

وفيها الرحمة:

لا تؤذها نملة تسعى بحببها

فإنها ذات روح ملء إحساس

وفيها الشك:

كم سعينا لكي نثال من الدنيا

مناها فما بلغن مناها

كيف تحظى بعد الممات باخري

ما سعينا لها وما رمانها؟

وفيها الأمل:

قد تركنا الرياء والمكر طرا

وانترعنا غل القلوب لتصفو

فاسقتنيها سلافة، فكما انا

عفونا فإن ريك يعفو

وفيها غير ذلك كثير من الصور والمشاعر والإفكار:

ولئن كانت المقطوعات اغلبها قصيرة فهناك قطع طويلة جميلة ك (العشاء اللذيذ).

لأبي القاسم حالت، وهي قصة أكل لحوم البشر الذي قصد باريس من أواسط الازدغال الكثيفة ليختال فيها ويصاحب الغيد الحسان، فلما سئل عن حسناء رثيت معه بالامس، قال:

لم تكن من رأيتموني وإياها،

كما قد ظننتم في الماء

إنما الكعاب الجميلة كانت

إن أردتم ان تعرفوها، عشائي!

وك ((عشق الفلاسفة) لحافظ الشيرازي:

شيمة العاشقين في الحب لطف

وغلو في المدج والإطراء

وتفان تسمو به الروح في الخلد

سمو الابطال والشهداء

لا كلام تسوده غلظة القول

ووعظ يليق بالانبياء

والحسناء المتسائلة التي ناشدت الشاعر ان ينبئها عن الغادة التي تنفت السحر وتصمي الافئدة وتبث الشجي في النفوس:

فوضعت المرأة بين يديها

قائلاً: من ترين في المرأة:

لكن أطول القطع وابدعها، ولا ريب، هي أرجوزة القط والفيران لعبيد زاكاني



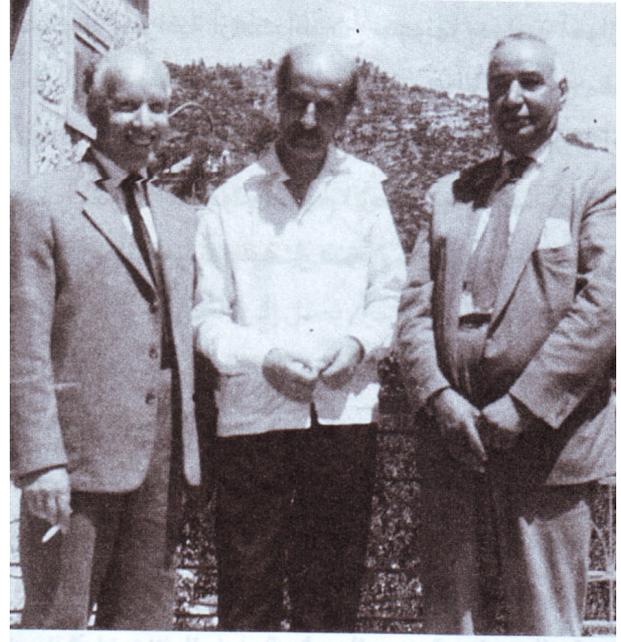
في مشغل الهلال الأحمر للسيدات - الآنسة صبيحة الشيخ داوود وابو شهاب والخليبي

من أدب الذكريات والاعترافات

جعفر الخليلي كما عرفته وحيد الدين بهاء الدين



الاستاذ الخليلي مع عدد من الدبلوماسيين والساسة
في افتتاح المجلس النيابي بتاريخ ١٢/١٠/١٩٥١



الخليلي - ميخائيل نعيمة - ناجي جواد الساعاتي

ان يعبروا عن الأدب والحياة، وعندي انا ان الخلق قاعدة اساسية للحياة الكريمة، وان الأدب لا يقوم إلا على هذه القاعدة وأشهد انك من هؤلاء الذين يتمسكون بهذه القواعد، قواعد الاخلاق الفاضلة وانك تحاول جهدك في اقوالك وكتاباتك وفي اعمالك ان تكون نموذجاً صالحاً للانسان الذي يعرف قدر الانسان لذلك فان سر المعجبين بك وانا منهم في الطليعة لم يعد خفياً على احد واني لا اعتز بهديتك اعترازي بصداقتك وافتخر باننتاجاتك القلمية... كذلك تأمل تعليقه الاجابي على كتاب (نظرات في الكتب) الصادر في العام نفسه. انتهيت اليوم بقراءة كتابك النفيس ((نظرات في الكتب)) الذي تعرض فيه لطائفة من الكتب التي كانت قد سدت فراغاً كبيراً في عالم الشعر والأدب بصورة خاصة واكثر ما سرني من هذا العرض هو التفاتك الى الجوهر مما ورد في كل منتج وكونك من اكثر الادباء تمسكاً بقواعد البلاغة ((ما قل ودل)) وهو امر لا يستكثر على أديب بارز مثلك...))

كانت تربطني والخليلي بالدكتور مصطفى جواد رابطة عميقة ووثيقة، على أنني بعد انتقاله الى رحمة الله، الفت فيها كتابا صار مرجعاً للباحثين والمصنفين منهم الخليلي، حيث اعتمد عليه وهو يعد فضلاً عن مصطفى جواد في كتابه (هكذا عرفتهم) في الوقت الذي اقضى الى بما رام في رسالة خاصة قائلًا: ((... لا أكتب لك أولاً شاكراً هديتك ثم لا أخبرك بانك قد اسديت الى التاريخ خدمة لا احسب ان قارئاً يعرف الدكتور مصطفى جواد ويعرف قيمته سينساها له فانت فضلاً عما عرضت له من ترجمة حال وافية شاملة على ايجازها فقد نشرت له رسائل كان لبعضها كل القيمة في معرفة طبيعة الدكتور مصطفى وسيرته الى جانب علمه وملكانته اللغوية والنحوية التي كان فيها حجة ومن اكبر الحجج

القسم العربي من مجلة (الاخاء) البغدادية، هنا وعلى جاري عادتني جعلت ارسل بكل عدد صادر من مجلتنا الى اخوة شرعوا يواصلونني بالود واللقاء... يأتي الخليلي في طليعتهم.

فعندما حاولت يوماً نشر رسالة ادبية وردت الخليلي عن طريقي من الشاعر جورج صيدح في هذه المجلة، ترددت ثم امسكت، ريثما استمزع رأيه في ذلك، فما اسرع ما انهى الي وهو على ارض لبنان في الواحد من آب عام ١٩٦٥ مارام ان يسوقه: ((... وقد بدأ لي من فحوى رسالتك انك تريد في نشر كلمة صيدح ولو كنت فعلت ذلك لما كان فيه اي بأس وليس في الرسالة ما يستوجب الاستئذان في نشرها ولكن ادبك الرفيع وخلقك الرفيع هما اللذان بالغا في تحفظك وانا اعيدها اليك لتنشرها اذا كنت ترى من الفائدة نشرها... الخليلي)).

ثم كان من حظ مجلتنا ان اسهم الخليل بها نزولاً على رغبتني، بشيء من انتاجه الادبي المستمد من معترك الحياة الصحاب سماء، ((من دفتر تجاربي العابرة)) الى جانب كنت اول من افرد بها صفحة لكتابه ((نفحات من خمائل الادب الفارسي)) حين صدر وتناوله بالعرض والتقييم من ما وقع من نفسه اعظم الوقوع واجمله..

كان الخليلي يستشعر في قراراته ان له تبعة ادبية والتزاماً خلقياً تجاه اصداقائه ولاسيما المخلصين له والحريصين على وده والمختلفين اليه..

ما ارسلت اليه بكتاب مطبوع من انتاجي إلا افاض عبر رسالة رائعة بالتحدث عنه والثناء على مؤلفه، انظر اليه يقول حين أركته نسخة من كتابي (في الأدب والحياة) الصادر عام ١٩٦٩ك (تمتعت بقراءة طائفة من ارائك، وافكارك التي جمعها كتابك (في الأدب والحياة)) وهي افكار وراء يعيها الاخلاص والشعور الصادق الذي حرم منه الكثير ممن يريدون

وكل ما ارجوه هو ان يكون هذا المنتج بمثابة الهطل الذي يسبق الغيث فلا يمر بعض الزمن حتى تخرج علينا بما يثلج الصدر ويمتع النفس وانا الان ابرك لك هذه الخطوة واشكر لك الطافك...))

في غضون الستينات وذات صيف وانا ببغداد في رحلة فكرية وروحية معتادة مع مشكور الاسدي بمنطقة الباب الشرقي، استدرجني لأن تعرج على الخليلي بدار التعارف، وكان يلتقي بها خلطاؤه وعشراؤه من العلماء والباحثين.

رحب بنا الخليلي... وكان لنا معه حوار دافئ مستمتع، وما كدنا نستأن حتى امتدت يده الى احد رفوف مكتبته، ليلتقط كتاب، وكان النسخة الوحيدة المتبقية. رباعيات قدس حسين نخعي، هذه التي عربها نظماً الدكتور مصطفى جواد، فناول اياه الاسدي.

بغنة تخرج موقف الخليلي... او هكذا بدا لي... كيف يعطي الاسدي نسخة من الكتاب ويحرمني منها ما دمت حاضراً... عز عليه ذلك.. اخذ يبحث هنا وهناك، حتى اعترته المصادفة، وللمصادفات في حياة المرء دور عجيب. على نسخة من الرباعيات مغبرة ومتروكة، اهداها الي ولسان حاله اسف وخجل... اقر أنني وجدت الخليلي في موقف ما كان مطلوباً منه ان يتصرف على هذا النحو، ولكنه ابى إلا ان يكشف عن نبلة من جهة ويشعري بقيمتي عنده من جهة اخرى...)

كان طبيعياً ان تتسع رقعة صداقتي الادبية وعلاقتي الشخصية بكثير من المنضوين تحت لواء الفكر والشعر والصحافة والثقافة، ومنهم الخليلي وندخل في طور جديد متجدد كنتيجة اكيدة للقاءات والاجتماعات الدائمة وغير الدائمة بعد اتخاذي ببغداد مقراً لي ومقاماً في منتصف الستينات.

واول من امري القيت الى مهمة تحرير

العربي في صحيفة (كركوك) والبسها ثوباً قشيباً كان حرياً بلفت الانتظار.

كنت ابعث بكل عدد من الصحيفة هدية الى اصداقائي الادباء والشعراء هنا وهناك.. وإلى ادارات الصحف والمجلات البغدادية التي لها عناية بشؤون الفكر والثقافة ولاسيما (الهاتف)... فقد كنت من قراء عددها الاسبوعي المتبعين المتطلعين... ان هو إلا وقت قصير حتى ينبري الخليلي في عدد من اعداد (الهاتف) بالثناء بكلمة تقييم مكثفة على صحيفة (كركوك) لانطوائها على بحوث ونقدات وخواطر بجهود محررها، وما اظنه تذكره؟

عقب عهد انطوى، كنت انزل ببغداد، من مدينتي كركوك، كلما سنحت لي الفرصة المواتية قضاء لحاجتي الشخصية واشباعاً لرغباتي الادبية... كنت الاقي الخليلي مصادفة في بعض الندوات والمجالس، او كنت اشاهده على القرب والبعد في محل عام او في اية مناسبة، إلا اني لم اكن ابادره بالسلام والكلام، او ابادنه بالسؤال والحوار، لنفرتي منه وتجنبي اياه، لما ترك موقفه السليبي الغريب ذاك في نفسي من راسب غير مستحب ما زلت اتخيله!

انه من الصعب على انسان مثلي نسيان المواقف الايجابية والسلبية! لكن تنويه الخليلي بصحيفة (كركوك) وما كانت تحاول ان تؤديه من خدمة متواضعة للادب العراقي يومذاك في صحيفته (الهاتف) كما المعت، جعلني اهديه نسخة من باكورة اعماله (خواطر هائمة) يوم صدرت في خريف عام ١٩٦١..

على توقع او غير توقع طالعتني يوماً ما ، وموكب الحياة تخب بنا شاحداً ابصارنا مفتحة بصائرنا، رسالة مؤرخة بالتاسع من تشرين الاول ١٩٦٠ وموقعة بتوقيع الخليلي.

(تلقيت هديتك النفيسة اقول النفيسة لانها اول منتج ادبي يصدر لك على ما اعلم،

- أرى ان تمر بجعفر الخليلي، لتتعرف اليه.

- كما شئت أو شاءت لك الرغبة.. ما أيسر تحقيقها؟!

ذاك ما أراده عبد المجيد لطفي عبر حديثه المستطاب وانا اجالسه بوزارة المالية ببغداد، في احد أيام شهر آب اللهب عام ١٩٥١.

بعد قليل من ذلك الصباح، كنت ألج إدارة صحيفة (الهاتف) بالحيدرخانة، وبصحبتي أخي بالرضاعة حلمي عثمان.. فإذا الخليلي، وكان يطالع الصحف ينهض واقفاً، ماذا يده،

- اهلاً وسهلاً..

- وعاد الى الصحف يمعن في قراءتها من غير ان يرفع رأسه او يدير عينيه نحونا ولو مرة.. ساد الجو صمت مطبق، وهو ما ينفك لا يعير لنا بالا او يطرح علينا سؤالاً، ولو على سبيل المجاملة، طال الصمت، وكان ثقيلًا بغيبض احسست معه بمطرقة تهشم رأسي.. ونغزت صاحبي مشيراً اليه بان نخرج.. مرة أخرى وقف الخليلي مكرراً.

- اهلاً وسهلاً.

اسقط في يدي.. وفي اعماقي تعلقني طاحونة الندم، متأسفاً على تنفيذي ارادة صديق لم يشأ لطفه إلا ان يصلني بغيره من الادباء والصحفيين، اعترازاً بي وتوسيعاً لأفق معرفتي واطلاعي..

مهما يكن فانما علل في ما بعد عدم مبالاة الخليلي بنا وتجاهله وجودنا بين يديه، ونحن تأتيه لأول وهلة، بسبب ما برحت احفظه نفسي الى يوم الناس هذا، ربما كنت متوهماً في التشبث به او على غير حق في ايراده، واحسب ان لو جرى هذا لغيري لربما وصم الخليلي بقلة الذوق.. مر عامان او اقل.

وتقضي الايام. هي التي تبدي لك ما كنت جاهلاً. ان اشرف على تحرير القسم

- أرجو ان تكون في خير..
- ان شاء الله ..

قبل ازعاعه السفر الى خارج القطر هاتفتني غير انه لم يجديني..

غادر بغداد الى عمان لمتابعة فحص عينيه واستتمام علاجهما لدى الدكتور (هلسا) اشهر اطباء العيون في الشرق - كما نكر هو - بناء على موعد، حيث انبأه ان عملياته نظيفة وناجحة وينبغي له استعمال النظارات الطبية وان عينه الثانية بحاجة الى عملية لم يحن وقتها..

ويبدو ان مناخ عمان راق الخليبي وافاده من حيث لا يحتسب، فأثر البقاء بها محاطا برعاية محبيه وحسن وفادتهم ولاسيما روكس بن زائد العريزي، هذا النادرة بين الرجال..

في صيف عام ١٩٨٢ شخصت الى عمان لشاغل، وكان من امنياتي ان استجلي طلعة الخليبي محكلاً بها ناظري، مستروحا واياه نسما للقاء والولاء.. لكن ذلك لم يتحقق لارتحاله الى لبنان نشداناً للراحة، فعدت أسفاً كاسفا..

أخطر ما اصيب به الخليبي ارتفاع ضغطه الدموي، هذا الذي اسلمه في ما بعد الى جلطة قلبية، ما لبثت ان خمدت سورتها.. وفي صيف عام ١٩٨٤ سافر الى ألمانيا الغربية لاجراء فحوصات طبية على قلبه الكسير، وقد جعلت نوباته تروح وتجيء.. وكانت النتائج لا تبشر بالخير والتفاؤل.. ومن هنا اشار اشارة منظوية على التنكيت حتى على نفسه في رسالة بعث بها الى صديقه الوفي ناجي جواد قبل وفاته بثلاثة اشهر، فقال بالحرف الواحد:

((ومنذ اسبوع ذهبت هذه النوبة ولست ادري ايكون نهابها بدون رجعة ام تعود؟ وانكر ونحن صبيان ان جحشاً نعق لأحد العلماء فشد بالحبال واجتمعنا نحن الاطفال نساعد الحماليين في جرحهم له وكنا نهزج منشدين:

وداعة الله يا جحش والينا
هأي هية لو بعد تلفينا
والجحش ذهب ولم يعد طبعاً ولكني لا ادري ايكون مصير هذه النوبة مصير جحش مولانا الشيخ فيذهب لا رجعة، والنوبة انذار بالموت لا ادري كم مرة انذرتني وانام لم وقد تجاوزت الثمانين بشهور)).

ثم لبي الخليبي دعوة تلقاها لزيارة ابنته السيدة ابتسام وزوجها في دبي.. هناك باغتته نوبة صاعقة، رقد على اثرها بمستشفى راشد.. وفي خلال ذلك كان يتابع ما يتسنى له من صحف ومجلات، ويطلع وجوه الاطباء والطبيبات، حتى انه كتب على إحدى صفحات مجلة (الصيد) قصيدة بديعة موجهة الى الدكتورة (منى المريخي) الطبيبة المشرفة على رعايته واختتمها قائلاً وهاتفاً بها :

منى يا منى كل هذه الحياة
فما طاب عيش بلا امنيات
اذا داهمك الشدائد يوماً
فليس علاج لها كالثبث
وان ضاق صدرك بالسبيحات
فثمة دنيا من الطبيبات!
اخذت من الدنيا احلى الاسامي
فكوني بدنياك احلى البنات
منى.. يا منى كل هذه الحياة
فلا عيش يحلو بلا امنيات
وقضى الخليبي بعد اسبوع نحبه.. شيع ودفن في تربة غريبة عليه.. ((وما تدري نفس بأي أرض تموت)) صدق الله العظيم، عليه واسع الرحمة..

لا من صدقك).. عاش الخليبي ثمانين عاماً وشهوراً.

حياته حفك بتطلعات صحافية وثقافية ورحلات الى مختلف اصفاغ الالم.. كما زحرت بنجاحات في اعمال ومشاريع تعاطاها، وان تخللها بين حين وحين اخفاق او نكسة، لا مندوحة للانسان في زماننا الرديء - وان كان ذلك من طبيعة الاشياء وريديف العمر - عن مجابهتها في المسيرة الطويلة.

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن شرعت الامراض تتعاوره، والصعوبات تلاحقه، والارتياح من المستقبل يساوره.. في اخريات اعوامه اصيب الخليبي بالنقرس: داء الملوك كما يقال بيد انه لم يكن ملكاً في يوم بالمعنى المتعارف عليه، كما لم يكن يطمح ان يكون كذلك في يوم ايضاً.. وانما كان ملكاً على عرش القصة العراقية في يوم شئت أم ابيت..!

واخذت يده في نهاية السبعينيات ترتعش على نحو ظاهر، اربكه، ثم زابته هذه الرعشة، إلا أنها عاودته مرة اخرى لا تريد الترحزح عنه.. ثم وجدته يشكو ضعفاً في عينه اليمنى..

تستمر الحال على هذا الوضع العصيب الرتيب، ثم رحل الى لبنان ليصطاف ومن هناك لا يتردد في مصارحتي ((عيني اليمنى في تهقر مستمر ينبك عنه هذا الخط الصاعد النازل والمشرق المغرب المبعثرة كلماته وحروفه وان هنا بعض من اعرف من الاصدقاء ومن اطباء العيون يوصونني بعدم الاجهاد ووجوب الانصراف عن القراءة والكتابة وانت تعلم كم هو شاق لواحد مثلي ان لا يقرأ ولا يكتب وأسأل الله العون ولعلي حين اعود الى بغداد تكون هذه العين قد تهيأت للعملية..)).

لولا تدارك ما انبى يتوعده بمداخلة جراحية ان او انها بمستشفى الراهبات في بواكير صيف ١٩٨٠ لما كان هناك نجاة من كارثة وامل في شفاء.

وانذكر انني عدته بعد يوم من اجرائه العملية، حاملاً اليه باقة من الازهار، وحينما وجدني اقبل وجنتيه حنانا وحامداً الله على سلامته انشرح صدره وانطلق لسانه.

- انت اول زائر.. لك الشكر!
- هذا واجب.. ((ومواصل)):

قدر.. ما لاحظته يوماً صاحبا او غاضباً .. عاتياً او عائباً. ان فعل شيئاً من هذا كله فشأنه الايماء والايحاء، يجيب عن بريده الادبي مهما يكن، يصل ودا بود من غير تقاعس، كذلك يصل فضلاً بفضل بلا توان.. كله ابا يعرف منزلته وقيمهته.. وكله كبرياء يرفض اذلاله شخصياً واهانتة ادبياً، حتى ليرد دون تكوص على مكائد الاعادي والخصو.. وفي جعبتي من هذا حكايات.

انما الخليبي منحني من محبته ووفائه ما لا يصح تناسيه والتكر له، قابل احساني اليه واهتمامي به. ان كان ثمة شيء من هذا، بأجل منهما واکرم، ما هاتفته مرة إلا هاتفتني مرات.. يسرع بالاجابة بمجرد ان توافيه رسالتي او حاجتي واجدى من ما نويت وانتويت. يخطر لي ببالي اني اهديته معظم اثارتي، في حين اهدائي من اثاره اكثر من ما اهديت.. وهل هناك من تلقى منه دورتين كاملتين من موسوعة العبتات المقدسة كما تلقيت انا؟ ما اصدق ما بيته عبر رسالة ارسل بها الي من عمان في العاشر من آذار ١٩٨١ بعد خيبته في ايصال نسخة ولو واحدة من الجزء الخامس من كتابه ((هكذا عرفتهم)):(فقد بعثت لك بنسخة ثانية من ((هكذا عرفتهم)) يوم كتبت لك الرسالة السابقة فان مل تصل اليك فلا تفسير لها غير سوء الحظ ولا غرابة اذا ما رافقتني سوء الحظ فقد اعتاد ان يركبني في كثير من المناسبات ومع الاصدقاء من امثالك ولو كانت لدي نسخة من الكتاب لبعثت بها اليك للمرة الثالثة وحتى الرابعة إذا اقتضى الأمر..)).

وكلما زرته بادارته او بدارته بمناسبة او غيرها غبط بذلك موسعا لي، مغرقا اياي بعواطفه وطرائفه، كما كان يكتبني وهو في خارج القطر يستجم او يشرف على طبع مؤلفاته، منسقط اخباري واخبار احبائه، ومستعداً لداء اية خدمة لي هناك.. ان عاد من رحلته بوغت بما اعتاد ان يباغت بها الخالص من اصحابه واربابه من هدايا مناسبة.. ولو ادركته رسالة او مقالة من زيد او عمرو وكان بها مان يخصني سرعان ما انهي ذلك الي عبر الهاتف ولو كان سبياً او تلباً..

صريح هو الخليبي وصراحته غير لناعه، مع ذلك يغلفها بنكتة او يضمونها حكاية.. وعلى حائط مكتبه بدار التعارف لوحة مؤطرة وهي تتالعك (صديقك من صدق

القدية التاثيرية والنصفة العلمية في اطلاق الحكم: ((هذه أول مرة اقرأ لك فيها طائفة من الصور تلتقطها من حياة ناسنا في مجموعتك الاخيرة التي صدرت باسم ((نداء الشوق)) وقدمها الدكتور صفاة خلوصي ومن قبل إذا كنت اعرفك كاتباً تعني بالمواضيع العامة التي يعنى بها الادياء وقد جذبني ((نداء الشوق)) هذا، ورحت استعرض صورك.. هذه صورة بعد صورة، على ان الصور التي بهرتني من هذه المجموعة لم تكن قليلة ولكن الصورة المعنونة باسم هذه المجموعة من (نداء الشوق) كانت اكثر ايفالا في اعماق نفسي وهي تستوفي كل شروط القصة الكاملة والى جانب تلك الصور البارعة اخذتني في مجموعتك عبارات واوصاف تدل على براعة تجتذب النفوس وتترك ابلغ الأثر فيها وهي ما تظهر بصورة جليلة واضحة في لوحة (النفساء) هذا فضلاً عن السبك الذي افرغت فيه قصة (النفساء)..)).

ونافلة القول ان ان ذهاب غير قليل من اصحابي الادياء والمفكرين بالعراق والوطني العربي الى غير رجعة، فجر شجوني وحفر في اعماقي جروحاً، ومن ثم حخني على النهوض بما استشعر نحوهم من واجاب ودين.. ونشرت عن كل من قضى نحب، وكانت لي به صلة، تأكدت معها اصالة وديمومة وتعززت بها مطارحات ولقاءات، مقالاً بعنوان ((.. كما عرفتهم)) حتى تمثل ما دبجت على تطاول الاعوام في كتاب مستقل اخرجته عام ١٩٧٩.. وكان لابد للخليبي وهو يطالع الكتاب الجديد المهدي اليه، وله اجراء مانعة من هذا اللون الطريف المعنى بشريحة من المتميزين المنورين، ان يعلن موقفه منه، وي طرح رأيه ببساطته المألوفة: كتابك (كما عرفتهم) قرأته للمرة الثانية ويسرني ان اخرك بأنه قد زادني اعجاباً بك كاتباً مشرق الديباجة حلو الحديث كثير الوفاء للذين عرفتهم من حملة الأقلام واعلام الادب ولم يكن هذا وحده وحسب وانما زدت تاريخ هؤلاء وضوحاً فزدت قراءك ومن ضمنهم انا فائدة وهذه صفة الكاتب المبدع وقد كنت انت من اولئك الكتاب المبدعين.. وما انت ذا نادر نفسك لخدمة القلم دون انتظار شكر او جزاء..)).

كان الخليبي هادئاً طبيماً.. ما دريب على الفطرة ذاك ام على التجربة؟ هاشا باشا لجليسه وانيسه، يحاول ارضاءه على

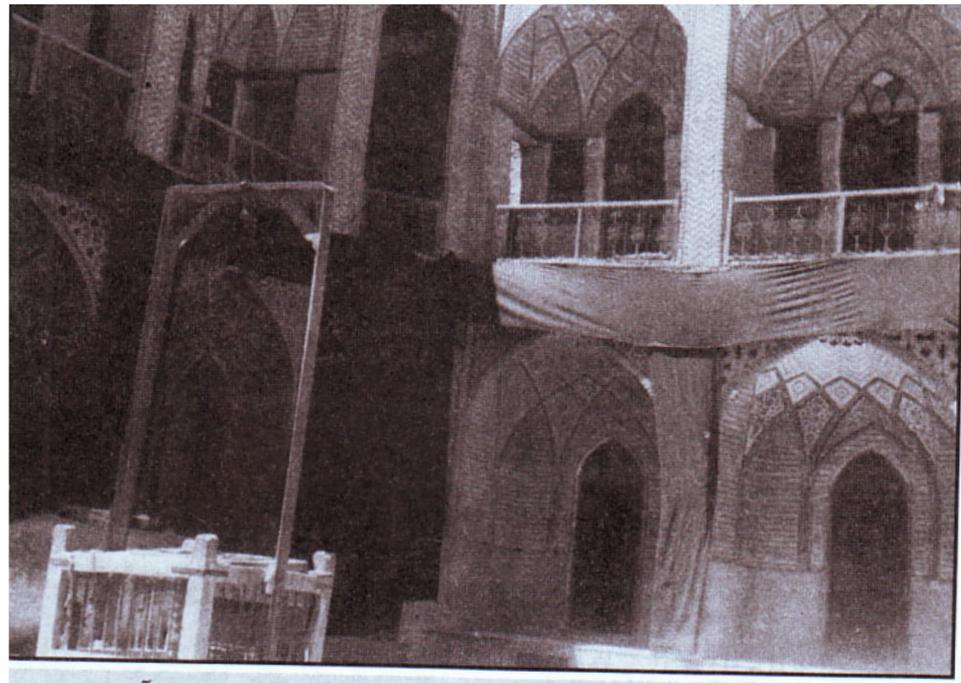
ولولاك لضاعت هذه الرسائل ولظل جانب منه مجهولاً كما ضاعت رسائل اخرى نرجوا ان يتاح لها الظهور بعد اليوم)) ويقول مستنطداً: ((ولا اکتتم اعجابي بمقدرتك في تأليف هذا الكتاب، ولا اشك ان كتابك هذا سيكون من اهم المصادر عن حياة الفقيه لما يتضمن من اخباره الصحيحة ونواحيه التي لم يتطرق اليها احد قبلك فتقبل شكري بل الحق يجب ان تتقبل شكر التاريخ على هذه الافضال..)).

هكذا بدأ الخليبي يخلع على شخصي الضعيف من خلال الحديث عن كتيبي الوانا من تشجيعه وتقديره، حتى حصلت عندي القناعة ان اعمل في ميدان الادب العراقي يبقى مبتوراً ناقصاً ان لم انهد لدراسة ادب الخليبي مبيناً بها تأثيره في الاجيال الصاعدة، ومحدداً مكانته بين معاصريه بينما لقي من عنايتي الأخرى من اقرانه حتى من يقل عنه باعاً وندراً..

خصصت عنه فصلاً عنوانه (جعفر الخليبي وامشاح من ارائه وافكاره) نشرته مجلة (الاديب) اللبنانية عام ١٩٧٢، ثم علق عليه جورج صيدح بعد مطالعته اياه تعليقا طريفاً ارسل به الى الخليبي مباشرة، وحقه ان يرسل بها الي ولكن الخليبي كان لبقاً فلم يرد ان تفوته الفرصة السانحة؟ ففاجأني برسالة مؤرخة بالثلاثين من تموز من العام نفسه، ((ولقد اعجبني تعليق اخينا صيدح على مقالك وهو تعليق رائع لا يتعدى كونه قطعة ادبية باهرة ولو لم يكن يعينني بعضه ولو بالاشارة لفضلت ان ادفع به الى اخينا البير لنشره في (الاديب) ولكن خشيت ان ينطبق على قول القائل (مادح نفسه يقروك السلام) وإلا لما توانيت ان اقدمه للاديب ذاكراً انه تعليق للشاعر الكبير جورج صيدح على مقال كتبه الاستاذ وحيد الدين في احد اعداد الادياب عن جعفر الخليبي ولا شك انك ستسامحني في ذلك)).

ومن ثم شاعت المقادير ان يطوى كتابي ((مباحث في الأدب العربي المعاصر)) بين تضاعيفه هذه الدراسة، الى جنب دراسات اخرى، وتصدره جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين عام ١٩٧٥، وما ان تستقر نسخة الخليبي في يده حتى تنطلق عباراته المتوهجة بالتواضع واللطافة عبر السطور: ((ومن المؤسف ان يكون لي بين من عرفتهم محل يحول بيني وبين الاعراب عن الاعجاب بكتابتك هذا لئلا تحمل كلمتي على الجاملة بالرغم من انك قد تعرف اني لا اخلط بين العاطفة والواقع وقد تعلم اني احترم الصداقة لحد قد يكون بعيداً ولكني لا اجيز لنفسي ان اضع الصديق في غير موضعه - ولاسيما في عالم الفن والادب، على حساب الصداقة ولقد قرأت كتابك بشيء غير قليل من اللذة، اللذة التي لا يستطيع ان يدخلها على النفس إلا الذين يحسنون وضع الاشياء في مواضعها: وقد احسنت كل الاحسان وارجو ان اقرأ لك شيئاً جديداً آخر يضيف الى هذه اللذة لذة اخرى..)).

لئن جاء معظم آراء الخليبي في ما يهدي اليه من كتب ودواوين، وفي ما يضع من مقدمات وتصديرات لغيرها موضوعياً وطريفاً معاً، فان رأيه في القصص والروايات، يجيء ابعد موضوعية واطرف.. هذا انطباعي عنه، وعلي تبعته - لا لشيء إلا لأنه ادرك اسرار هذا الفن الشائق والشائك.. زعيم انا بالقول مثلاً لا حصر، ان الخليبي عرف كيف يبدي رأيه المختزن الهادئ في مجموعتي القصصية ((نداء الشوق)) المطبوعة عام ١٩٧٢، فتلاقت على صعيده النظرة



مدرسة الخليبي في النجف وقد ضاعت معالمها الآن

الأعلام الذين فقدناهم جعفر الخليلي

أكرم زعيتر



والقصة العراقية) وقد ترجمها. فيما اعلم، الاستاذان صفاء خلوصي ووديع فلسطين وقدم لها الاستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن.

والى عمله في الصحافة وغزارة تأليفه، عمل في حقل التدريس ودرس التاريخ والجغرافية في النجف والحلة، كما انشأ داراً للنشر والتأليف في النجف سماها (دار التعارف) كانت ملتقى ابناء وشعراء العراق.

ومل عرفته من مؤلفاته - ماعدا قصصه - يوميات (خواطر وافكار) - وعندما كنت قاضياً وفي قرى الجن - والتمور العراقية - وكنت معهم في السجن.

وفي إحدى زيارتي ايه اهدى الي كتابه (نفحات من خمائل الأدب الفارسي) وفيها نقل الى العربية شعراً بعض محفوظاته من روائع الادب الفارسي وقد وصف الشاعر الكبير الشيخ علي الشريقي هذه الترجمة بجودة السبك وقوة الأسلوب والمبالغة في المطابقة والمساقاة مع الاصل فكانت تحفة نادرة بخصوصها ونصوصها.

قلت: ان لقاء الخليلي متعة للذهن وترويح للنفس وحديثه ينم على حضور البديهة وبراعة النكتة وسعة الاطلاع ولطافة الاستطراد، وطرافة الاستشهاد بالشعر.

وتبارينا في الحملة على الشعر الطمطماني الموسوم زوراً بالحدائث، والمزعوم انه شعر حر فرؤى عن صديقه الشاعر ابراهيم حرب اللبناني، ان استباكات وقعت في بيروت ادت الى اقامة حواجز ووقف السيارات عندها وتفتيش ركبائها، وحدث ان ركاباً كان يحمل قصيدة من (الشعر الحر) اعداها لاقائها في حفلة تأبين شخصية، ووقعت القصيدة بيد ضابط التفتيش، واطلع عليها، فقبض عليه وارسله الى مركز الشرطة للتحقيق معه حول ما ورد فيها كقوله: (قمر الليل في بحر الظلمات وعصافير السطوح

المؤتمر الإسلامي العالمي المنعقد في القدس سنة ١٩٣١ والذي سكن غزة وانشأ فيها (بيارة) نمونجية.

ومما حببني اياه، فضلاً عن اديه وحلقة كونه اشترك في ثورة العراق، ولاسيما في النجف على الإنكليز، وانه نجما من مشنقتهم بالافلات من قبضتهم متخفياً.. واقام في طهران ولكنه حمل وطنه في قلبه. وعرفت في طهران العلامة الشاعر قدس نخعي، وزير البلاد. وقد نظم بالفارسية رباعيات قيل انها رائعة، وعهد بترجمتها للعربية الى احد الابداء، ثم تولى الاشراف على صحة الترجمة وتأنق فيها الاستاذ جعفر الخليلي، وقد قرأتها مخطوطة فتبدي لي ذوق الخليلي وشاعرية النخعي.

ولد جعفر عام ١٣٢٢هـ في النجف في بيت علم وادب وفقه، وكان ابوه الشيخ اسد اديباً معنياً بالطب القديم واستاذاً في علم المنطق، ولأسرته مدرستان معروفتان ذواتا مكتبتين كبيرتين، وكانت نشأة الفتى جعفر فقهية اديبية، وكان يلتهم من المكتبة دواوين الشعر حتى نظم الشعر فتى، وعاش في اجواء الاغاني، وكليلة ودمنة، والمستطرف، واعلام الناس ومغني اللبيب، ودواوين شوقي وحافظ وبشار والمعري وابو نواس واعلام الشعر الفارسي حافظ وسعدي والخيام والفردوسي.. وقد كان تأثير القرآن الكريم فيه عظيماً وكانت

لقصص القرآن في شغفه بالقصة ونبوغه فيها الفضل الاوفى.. نعم لقد برع وسطع في فن القصة حتى عد رائداً للمجلى، وكان في قصصه يتصور نفسه كما لو انه هو بطل القصة، ولعل آخر قصة واطولها هي التي عنوانها (عندما يحب الشاعر) وفيها انماط من الحياة الاجتماعية والعاطفية والنفسية والتربوية. وقد جعل المستشرق الاب جون توماس هامل رسالته للدكتوراه في جامعة ميتشيغن (جعفر الخليلي



الخليلي مع الدكتور عبد القادر القط بفندق فاروق - سوق الغرب - لبنان سنة ١٩٨٠

(الفجر الصادق) ثم جريدة (الراعي) وهو يعتبر رائداً في الميدان الصحفي.

وحدث ان انست وانا سفير في طهران بايدي وشاعر عربي ملاء اهابه فضل، وعلى وجهة سمات نجل اسمه عباي الخليلي، وهو اخو جعفر، وقد تصادقنا وكثرت لقاءاتنا في رحاب الزعيم الايراني المسلم الكبير الذي اذا قيل (السيد) في طهران، علم انه ضياء الدين الطباطبائي الذي عرفناه في فلسطين نائباً لرئيس

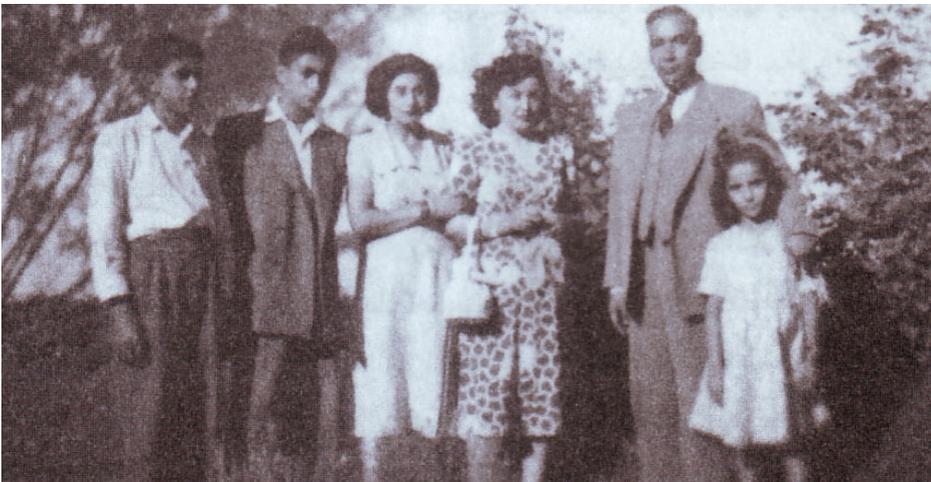
فقد زرته في بيته بعمان قبل شخوصي الى بيروت، وزيارته غنم ادبي، واحادثه تحفل باطراف الذكريات، وفي تلك الزيارة الاخيرة اتحفتني بالاجزاء الستة من موسوعته (هؤلاء عرفتهم) وعلمت ان الجزئين الأخيرين منها قد طبعوا على نفقة صديقه الأوفى، وصديقي الوجيه النبيل العراقي الاصيل عبد الهادي الجليبي، وان الجزء السابع ستتولى دار الرفاعي بالرياض نشره باشراف صاحبها الاديب اللبق الكريم الاخلاق الاستاذ عبد العزيز الرفاعي.

وقرأت ما نشر من كتابه (هؤلاء عرفتهم) فكان فيه قمة في الوفاء لإخوانه من الاعلام الراحلين ويقضي فرض الكفاية في الوفاء لذكره ان نتحدث عنه على صفحات (الشرق الاوسط): اول ما سمعت بالاستاذ الخليلي حين اطلعتني الشيعيد كامل مروة صاحب (الحياة) على اعداد من جريدة عراقية اسمها (الهاتف) يصدرها الخليلي، وقد نقلت مشكورة مقالات لي حول النكتة الفلسطينية سنة ١٩٤٨، وكون معركتنا مع الصهيونية معركة وجود وعدم، وانها اخلاقية، وحرب بين عقليتين.. وعلمت انه سمي صحيفته (الهاتف) باسم وحيد الذي فقده صغيراً، وانه اصدر قبلها جريدة

وانا في بيروت تلقيت الاعاصير الطبيعية، والاعاصير السياسية، وتتقاذفتني ايدي التناقضات: امل بالاتي، وبأس من الحاضر، تفاؤل بجهود للانقاذ، وتشاؤم من تفاقم الاحقاد، اغتصاص بصيحات توجع الفرقة واعتزاز بمقاومة للصهيوني المحتل، صك سمعي نعي ثلاثة اصديقاء اعزاء من اعلام الكفرو ائمة النثر او الشعر.

العالم اللبناني الكبير الدكتور فؤاد صروف الشاعر المصري الكبير الاستاذ محمد عبد الغني حسن الاديب العراقي الكبير الاستاذ جعفر الخليلي

وعلى ان الصحف العربية خلت صفحاتها من احاديث عن هؤلاء الاعلام الراحلين الذي انجبتهم ثلاثة افطار عربية.. فهل من قبيل فرض الكفاية ان اتحدث عنهم على صفحات ((الشرق الاوسط)) وفاء للعالم والادب والتاريخ واستجابة لنداء اواصر الاخاء التي تجمعتي بهم، جعفر الخليلي: وفوجئت - وانا في بيروت - بنعي الاستاذ جعفر الخليلي في سطرين من صحيفة وفيهما انه توفي وشيع ودفن في دبي. وبلغ التائر مني مبلغه،



جعفر الخليلي .. صحفي

جواد كاظم البيضاني



صورة لأحد أعداد جريدة الراعي التي لأصدرها الخليلي (مكتبة أكاديمية الكوفة)

جعفر الخليلي والتي استمرت لأكثر من (14) عام فهي مجلة (الهاتف) وهي مجلة اسبوعية تعني بشؤون الثقافة والأدب صدر عددها الاول في 3/ أيار / 1930، قال عنها فائق بطي :«كانت من أرقى المجلات الأدبية الصادرة في تلك الفترة حيث استقطبت الأرقام الشابهة من مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية، لقد استطاع جعفر الخليلي ان يستمر في اصدار مجلة (الهاتف) رغم العقبات والصعوبات التي واجهها ، فقد اضطر على بيع كتبه ومكتبة والده الثمينة من اجل شراء الورق الذي ارتفع الى اسعار عالية جداً في سنوات الحرب العالمية الثانية واستمرت المجلة في الصدور بسبب تضحيات صاحبها رغم ان العديد من الصحف افل نجمها بظروف ومصاعب اقل من تلك التي تعرضت لها مجلة (الهاتف) . وفي عام 1949 انتقل بامتياز هذه الصحيفة الى بغداد حيث اصبحت جريدة يومية سياسية لتعود بعد ثلاث سنوات الى مجلة أدبية تصدر بصورة اسبوعية واستمرت في الصدور حتى عام 1954م حيث الغي امتيازها شأنها شأن باقي الصحف العراقية التي الغي امتيازها من قبل رئيس الوزراء نوري السعيد .

لقد قدم المؤرخ والأديب والصحفي الكبير للعراق الكثير من نتاج ادبي وشعري وفني وتاريخي وجغرافي وصحفي وفي كل هذه الصنوف يستقى في آرائه يتعامل بمنتهى المهنية التاريخية فيما ينقله من حقائق ومنتهى الاخلاقية الصحفية .

ابتعد كثيراً عن الهجاء في شعره وكان قريباً الى الفقراء في نشره فهو بحق نموذج من الكثير الذي جهلهم شعبهم الذي يقرء ما سجلوه لنا من أدب وتاريخ وفن دون ان يتعرف على الذين سجلوا له مجاهيل لاننا نسيناهم وحملنا عليهم ان يبقوا مجاهيل .

والخليلي من الشعراء المقلين فله قصائد في الشعر الشعبي وباللغة العربية الفصحى ؛ اما ابرز نتاجه الادبي فله قصة (الضائع) ، (من فوق الرابية) و (في قرى الجن) وعليه يمكن القول انه من العلماء الموسوعيين الذين عملوا في مجالات عدة منها الادبية والتاريخية كذلك صنف في الجغرافية والتراث الشعبي . بيد ان هناك نشاط اخر للخليلي لم يسلط عليه الضوء وهو عمله في مجال الصحافة . فمتى بدأ هذا النشاط ؟ وماهي ابرز نتاجه في هذا الحقل ؟

ينقل لنا عبد الرزاق الحسيني ان اول صحيفة صدرت لجعفر الخليلي حملة عنوان اسم (الفجر الصادق) وكانت تصدر مرة واحدة في الاسبوع وقد ولد عددها الاول في 7 / آذار / 1930، وفقاً لرواية فائق بطي فان هذه الصحيفة لم تستمر الا ستة اشهر حيث يقول :«في 7 / آذار / 1930 اصدر جريدة (الفجر الصادق) في النجف الاشرف اسبوعية في ثمانين صفحات دامت ستة اشهر» وكانت هذه الصحيفة ادبية وصفها عبد الرزاق بالصحيفة الادبية الراقية .

اما الصحيفة الثانية التي اصدرها فحملت عنوان (الراعي) وهي جريدة سياسية صدرت عام 1932 ووفقاً لما نقله حيدر المرجاني فان هذه الصحيفة اسبوعية صدر عددها الاول يوم الجمعة 13/ 5 / 1932م واستمر صدورها لمدة سنة وصفها فائق بطي بالقول :«جريدة (الراعي) في النجف اسبوعية من اثنتي عشرة صفحة . الغت لغتها امتيازها الحكومة انذاك لمواقفها السياسية ضد تدخلات الإنكليز في شؤون العراق السياسية والثقافية» .

ومن الغريب ان المؤرخ الراحل عبد الرزاق الحسيني لم يثر الى هذه الصحيفة رغم ان كتابه تحدثت عن الصحف التي صدرت عام 1933م . اما ابرز الصحف التي اصدرها

يعد جعفر الخليلي من أعلام الثقافة والادب في العراق وخارجه ، فشهرته فاقت الافاق بما حققه من نتاج فكري وعلمي غزير فقد كتب في الادب والتاريخ وصنوف المعرفة الاخرى فلم يصنف كمؤرخ او اديب بل عد عالم موسوي من خلال موسوعاته التي تحدثت خلالها عن تراث العراق ورجالاته ولكن هناك جانب اخر لم يغطي بشكل كبير يتمثل بدوره في مجال الصحافة واصداراته في هذا الحقل ولكي نغطي ذلك بصورة موجزة لابد ان نعرض في الحديث عن حياته ونشأته وبرز اهتماماته .

ولد جعفر الخليلي في مدينة النجف الاشرف عام 1322هـ / 1904م في بيت علم وادب ودين . تلقى علومه في المدرسة العلوية ، عمل معلم في مدرسة الحلة الابتدائية عام 1924 وتنتقل بين المدارس حتى قدم استقالته من التعليم عام 1931 ، ليتفرغ الى التعليم . عرف الخليلي بمواقفة الوطنية في مناهضة الاحتلال البريطاني ، حتى بعد الثورة العفوية الغير منظملة التي انطلقت في عموم العراق عام (1920) .

ويبدو ان مساهماته التي قام بها من خلال جريته في الطرح اثارت انتباه الكثير من العراقيين الذين عدوه من رموز الوطنية ومن اصحاب المواقف الصلبة في مناهضة الاحتلال ولعل نتاجه الصحفي شاهد على جرائته في الطرح وصلابة موقفه .

لجعفر الخليلي العديد من المصنفات منها وابرزها موسوعة العنبات المقدسة وهي بحق نتاج فكري متميز وله كتاب (هكذا عرفتهم) وهو تعريف بأبرز الشخصيات العراقية التي عرفها خلال حياته وله ايضاً كتاب (نفحات من خمائل الادب الفارسي) زكتاب اخر في حقل العراقية) ، وكذلك له كتاب في الجغرافية حمل عنوان (جغرافية البلاد العربية) .

تحت مغارات الافلاك والطيور المذبوحة عبر الفضاء المتناثر ريشها لمظلومين في اقفاص السجون تغرد وتنوح ولا يبكي عليها مذبوح). واشتبه ضابط الشرطة المحقق بكونها (شفرة) مخابرات، ورموز تجسس فسأله: (ما هي هذه العصافير المحلقة فوق السطوح؟ وماذا تعني بالطيور المذبوحة عبر الفضاء وبخولها الافلاك؟ وما هي اقفاص السجون؟ ومن هي التي تغرد وتنوح ولماذا تفعل كل هذا؟) فاجابه الشاعر المجدد : (هذا شعر اعدته لحفلة تأبين. واذ لم تصدق فاتصل بالحفلة التي ستقام بعد ساعات). فقال الضابط. ((وما دخل قمر الليل والعصافير المتناثر ريشها بالتأبين؟)) ولكمه لكتبتين. احاله الى المحقق العدلي الذي اطلق سراحه لان مثل هذه الاقوال تنشر في بعض الصحف باعتبارها شعراً.. وان كانت اقرب الى (الشفرة) منها الى الشعر!

وزرته والصدیق الدكتور ناصر الدين الاسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، وحدث ان دار حديث حول ضعف الذاكرة بالنسبة الى الاسماء فانشدنا :

افرد نسياني الى غاية
لم يدع النسيان لي حسا
فصرت اما عرضت حاجة
مهمة اودعتها الطرسا
فصرت انسى الطرس في راحتي
وصرت انسى انني انسى
وقيل له: ان جميع صحفيي العراق يلقبوك : (ابو الصحافة العراقية): فاجاب ((انا ابوها حين يريدون لعنها بقولهم: لهن الله ابا الصحافة)).

وانما ما عرفت اديبا احكم صلاته ووثق اوامر صداقته باعلام في الادب كالمرحوم الخليلي: وقد خلف منجماً من رسائل بخطوطهم، تجد فيه مكاتيب من ميخائيل نعيمة الذي يقول: ((ان الاستاذ الخليلي حري بان توضع عنه اوسع الدراسات كاديب وصحفي). ومن، صيدح، وفرحات والشبيبي والقروي والصفافي النجفي وعبد الغني حسن ونويهض وزيتون والخفاجي والسحرتي ومصطفى جواد والعريزي وحمرزة والشرفي والناعوري وخلوصي ولطفي.

وفور عودتي الى عمان بادرت الى تعزية كبرى كريماته الانسة الفضلى الامينة على تراث ابينا (فريدة) وعلمت منها انه يم دبي تلبية لدعوة كريمته وزوجها واصيب هناك بنوبة قلبية قضت بدخوله مستشفى راشد حيث رقد اسبوعاً، ولما قضى شيع ودفن في دبي باحتفال قبل وفاته بيومين قصيدة موجهة الى الدكتورة (منى) التي اشرفت على رعايته وقد ختما هاتفا بها :

وان ضاف صدرك بالسيئات
فتمتة دنيا من الطبيات
اخذت من الدنيا احلى الاسامي
فكوني بدنيك احلى البنات
منى، يا منى كل هذ الحياة
فلا عيش يجلو بلا امنيات
وعلمت انه الف في عمان كتاب (مما احتفظت به الذاكرة من الخواطر) وكتاب الشعر العربي والغناء وقصة تمثيلية عنوانها (رهبان بلا دير).

وقد وصفه صديقه الحميم الاستاذ روكس بن زائد العريزي: ((خلق مصطفى، ووفاء نادر، وعلم جم، ونزاهة في القول والعمل، وابعاء بلا كبرياء وصراحة مهيبة..)) رحمه الله.

القيت في اربعينية الراحل جعفر الخليلي 1985

رؤوس أقلام عابرة عن الأستاذ الخليبي

مشكور الأسدي

كلمة موجزة

هذه لمحات خاطفة، ورؤوس أقلام عابرة، وخطوط رفيعة عن الاستاذ جعفر الخليبي جمعت بعضها من مذكراتي، والبعض الآخر مما احتفظت بها ذاكرتي، وبعضاً من استقصائي حين طلب مني (عام 1964) الاستاذ الجليل احمد حامد الشربتي المفتش الاختصاصي لوزارة التربية سابقاً ان اسجلها ليعتمدها في ترجمة مشاهير ادبائنا، وهي مجموعة تراجم انفراد بها استاذنا الشربتي بين جميع التراجم لكونها مكتوبة باقلام اصحابها باستثناء ترجمة الخليبي، ولكون مؤلفها (الشربتي) باحثة له في ميدان البحث والأدب أكثر من صولة وجولة، واذ ما كتب مجموعته من تراجم ان تخرج الى حيز الطبع فستسد فراغاً جد كبير في عالم البحث والاستقصاء وستغنيانا عن مشقة البحث والتتبع في سير مشاهير رجال الأدب المعاصرين في العراق، ومن باب الاتفاق ان تصبح هذه اللمحات ورؤوس الأقسام عن الاستاذ الخليبي مرجعا لدراسته لدى الباحثين من طلاب الجامعة أو المؤلفين الذين يعينهم البحث عن تاريخ الصحافة والصحافيين، او تاريخ القصة والقصاصيين او تاريخ العتبات المقدسة، او الادب والشعر في العراق، فاطرت لطبع العشرات من هذه النسخ بالطابعة لتسهيل دراسة (الخليبي) على ضوئها. ولما كثر طلابها التجات لطبع كمية منها بالمطبعة، ثم التجات لإعادة النظر في بعض فصولها وطبعها من جديد لنفاذ ما طبع منها، وبذلك اكون بسبب استاذنا الشربتي قد وفرت لمن يعينهم الأمر حاجتهم من هذه اللمحات التي بدأ يزداد الطلب عليها من لدن كتاب التراجم وطلاب الجامعات بقصد الدراسة وليس لدي منها ما يسد الحاجة.

مشكور الأسدي بغداد كرامة مريم أب (اغسطس) 1971 .

تعليق الخليبي

يقوم الاديب اللوذعي الكبير الاستاذ احمد حامد الشربتي المفتش الاختصاصي بوزارة التربية والتعليم بجمع عدد من التراجم لعدد من العلماء والشعراء والكتاب، والاستاذ الشربتي فضلاً عن كونه ادبياً وباحثاً، وكتاباً لامعاً فان لعاطفته المشبوبة اثرًا غير قليل في دنيا المحبة والصدقة، ومن هذه العاطفة وقوع اختياره على لأكون من ضمن تلك المجموعة التي اختارها من التراجم وبناء على ذلك طلب مني ان اضع بنفسني ترجمة حياتي على غرار ما قدمته انا في كتاب (هكذا عرفتهم) من تراجم فاعتذرت، واصر هو، واصررت انا، لأنني واثق من اني ان فعلت ذلك فلن انجو مهما بلغت في الحيطة من الانانية وحب الظهور، ولاحتني هذا الصديق الكريم ولكن دون جدوى حتى وقع على

الخبير وتركني مشكوراً.

والخبير هذا هو الكاتب الأملعي المعروف الاستاذ مشكور الأسدي الذي ولع بجمع طائفة من المذكرات والخواطر، والشذرات، وعن عرف في حياته من رجال الأدب وقد افاد من دراسته الجامعية وتطوافه بالاقطار العربية والاجنبية حيوية علمية وتجارب فنية ساعدت كثيراً على ان يبدع في جميع ما يكتب من البحوث والمقالات. وجاءني الاستاذ مشكور يعرض علي مسودة ما كتب عني وطلب مني قراءة هذه الصفحة التي سماها (بلمحات خاطفة) او الخطوط (الرفيعة) عن جعفر الخليبي كما قال، والتي خطتها ليسهل استخراج الخطوط العريضة منها لمن يعنيه امري كما قال، فقرأتها وليس عندي ما اقله عن هذه الخطوط (الرفيعة) من حيث الحوادث وتاريخها، ولكني لم انسى ان مجرد التفكير في وضع ترجمة عني بخطوط (رفيعة) او (عريضة) لا يخرج عن كونه ضرباً من ضروب العاطفة.

جعفر الخليبي

١- ولد جعفر الخيلي في مدينة النجف عام 1322 هـ في بيت علم وأدب، ودين وطب، تولى غير واحد من اسرته المرجعية الكبرى للزعامة الروحانية الشيعية، كان منهم جده المولى الحاج علي الخليبي، وكان منهم عم ابيه الحاج المرزا حسين الخليبي وقد تولى هذا المرجعية بعد جمال الدين الافغاني. وقد اشار السيد جعفر الطلي الشاعر الكبير

إلى تولى الحاج ميرزا حسين الخليبي الزعامة الروحية في قصيدة تهنئة عامرة مورياً بها اسم الزعيم السابق السيد ميرزا (حسن) الشيرازي والزعيم اللاحق الحاج ميرزا (حسين) الخليبي ومشبهاً توليها بتولي (الحسين) بن علي (ع) الإمامة من (الحسن) (ع) قائلاً:

قد كانت الفتنة الكبرى تحل كما
بعد النبي فشت في الأمة الفتنة
حتى أتى النص أن الدين رتبته
موروثاً (لحسين) ان مضى (الحسن)

أما والده فهو الشيخ أسد الخليبي من رجال الفضل والأدب والطب القديم وكان من اساتذة علم المنطق المعروفين. ومن مشاهير الأسرة الاستاذ عباس الخليبي الشاعر السياسي والأديب المتمكن من اللغتين العربية والفارسية، والمبرز في الحركات الوطنية في النجف والذي استطاع ان ينجو من مشنقة الانكليز في ثورة النجف المعروفة التي قامت قبيل الثورة العراقية عام 1327 هـ 1918م وقد ارخ لها المؤرخين في وقتها بقولهم، (حصار وغلاء) 1336 هـ فقد تخفى عباس الخليبي في الأبار وهرب الى ايران وحكم عليه بالاعدام غيابياً في حين اعدم زملاؤه الشهداء الذين لم يستطيعوا الهرب مثله، وكانوا احد عشر شهيداً وله تاريخ مشحون بالغرائب وقد يكون اول من سل السيف في وجه الانكليز في العراق وقد قال حين فر واخفقت الثورة النجفية من قصيدة له منشورة في مجلة العرفان:

رويداً رجال الانكليز ورافة
إن اليوم أسرفتم فإن لنا غداً
وإن قصرت اقدامنا عن خطاكم
مددنا الى ما فوق هامكم يداً
ومنها يخاطب أهل العراق:
يحكم اهل العراق على النوى
فتى في سبيل المجد امسى مشرداً
تحية عان كلما هبت الصبا
في الأمس عنكم قد سلك المهندا
عواطف لا تنفك تغلي بمهجتي
إلى ان ارى جسمي الصعدي موسداً
الخ....

وقد ذكر الاستاذ ابراهيم الوائلي وهو من اساتذة جامعة بغداد ان عباس الخليبي كان اول شاعر ورد في شعره ذكر فلسطين كما علمت. ومن افراد الأسرة الأديب الطبيب المرحوم الشيخ محمد الخليبي ابن عم جعفر الخليبي وصاحب كتاب أدباء الأطباء، والباحثة الأديب المرحوم محمد ابراهيم الخليبي وبين آل الخليبي عدد من ادباء الشباب والشعراء عبء الغني الخليبي وعلي الخليبي، وجعفر صادق الخليبي، وهو غير مترجمنا جعفر أسد الخليبي هذا وبينهم تجار معروفون منهم الاستاذ صادق الخليبي المحامي والتاجر والعضو الإداري بغرفة تجارة بغداد. ٢- تمثل الأسرة بمجموعها جانبين احدهما الطب القديم فقد مارس عدد كبير من رجالها في التاريخ القديم الطب اليوناني كان آخرهم الشيخ محمد الخليبي ومحمد صادق الخليبي ومحمد صالح الخليبي،

والدكتور حسين الخليبي، والدكتور الهادي الخليبي والدكتور باسم الخليبي والدكتور رضا الخليبي وغيرهم الى جانب عدد من حملة الشهادات العالية من مهندسين واساتذة أما الجانب الثاني فهو الدراسة الدينية كما اشرفنا الى ذلك، وللأسرة مدرستان دينيتان معروفتان في النجف وهما مدرسة الحج مرزا حسين الخليبي الكبيرة والمدرسة الخليلية الصغيرة. كما ان اهم مسجداً اشتهر باسمهم في النجف، ومقبرتين باسم الأسرة ايضاً وفي المدرستين المذكورتين مكتبتان كبيرتان موقوفتان على طلابهما. وقد ورد تاريخ هذه الاسرة في جميع المصادر وكتب التراجم في النجف.

٣- ارخ الشيخ حسين العاملي (وقيل انه العالم الكبير الشيخ عبد الحسين صادق)، ولادة جعفر الخليبي ابن الشيخ أسد بقوله:
عونت مولود أتى
لشيخنا، (الشيخ أسد)
من كيد كل كائد
وحاسد إذا حسد
يافرحة ما جاءنا
بمقلها قبل احد
ان قيل من؟ أرخ: (أنا الشبل من ذاك الأسد)
١٣٢٢ هـ

٤- انكر ان جعفر الخليبي حدثني يوماً عن سيرته مع ابيه رحمه الله فقال:
اذا استثنينا بعض مراسيم الاحترام والطاعة نحو ابويننا فنحن الاخوة



لشيخ عبادي الحسين والسيد محسن أبو طبيخ ويظهر خلفهما الاستاذ الخليبي ومرافق الشيخ عبادي. (فالوغا - لبنان) 1933/8/28

على هذه المدرسة وكان من طلابها او من اكثر طلابها ابناء الأسرة الخيلية واسرة آل (الاخوند) وهو احد مشاهير مؤسسيها ومن المراجع العليا. وكانت أول مدرسة عصرية تنشأ في النجف فتدرس فيها اللغات الفرنسية والانجليزية والتركية والفارسية الى جانب العربية وكانت مدرسة في مستوى المدارس الثانوية درس الاستاذ جعفر الخليلي في هذه المدرسة ولا يزال حتى اليوم يرطن ببعض الكلمات الانكليزية والفرنسية التي تعلمها في تلك المدرسة. وقد كان من اساتذتها السيد كاظم العصار وهو رجل تخرج من السوريون وجاء النجف للتخصص في دراسة الفقه والأصول، وليس العمامة وطفق يطلب العلم في الحوزة ويتفقه بالفنون الاسلامية والعلوم العربية وكان يدرس الفرنسية المذكورة في هذه المدرسة كما كان ايضا (الشيخ مصباح) الطباء من اساتذة الفرنسية والخط وهو والد مصباح زاده صاحب جريدة كيهان بطهران الذي تعتبر جريدته من كبريات الجرائد في الشرق اليوم، كما كان السيد حسين وهو من مشاهير المتفنيين في الخط من مدرسيها.

وعالج جعفر الخليلي الشعر وهو تلميذ في هذه المدرسة وعمره لم يتجاوز الثامنة او التاسعة وقد وشى به تلميذ من زملائه في اثناء الدرس لدى المدرس ذات مرة قائلاً بان عند جعفر الخليلي دفتر يكتب به ما لا علاقة له بالدرس، فجاء المدرس واخرج الدفتر من درج الطالب جعفر، وجد فيه اشعاراً بالعربية وبدلاً من ان يعاقبه كما كان يتوقع راح يشجعه على قول الشعر ولكن من غير تفریط بالواجبات المدرسية، ونصحه بأن يزاوّل هذا العمل في اوقات الفراغ، ويظهر من هذه انه كان ذا قابلية ادبية منذ طفولته وكان (انشاؤه جيداً كما كان يحفظ شيئاً من طرائف الادب والشعر نتيجة نشاطه في بيت علم، وادب، وفضل، وكان ابوه كما تقدم من الفضلاء ولديه مكتبة كبيرة فكان اليافع جعفر يرد هذه المكتبة ويفتح عينه على ما فيها من كتب، وقد حدثني بان اول كتاب قدر له ان يقرأ فيه حينما صار يستطيع القراءة كان كتاب (زهر الربيع) للسيد نعمة الله الجزائري فكان ينقله من المكتبة الى غرفته الخاصة في الدار ويقرأ فيه، فراه ابوه مرة وهو يقرأه فزجره ومنعه من قراءة هذا الكتاب فكان ذلك دافعا له على الحرص على قرأته والاطلاع على ما فيه. ثم قرأ كتاب (انوار الربيع) للسيد مير علي خان كما قرأ بتوالي الأيام الى جانب كتبه المدرسية كتباً ادبية، ودواوين شعرية، وتواريخ مما كانت تحفل به مكتبة والده والمكتبات الاخرى وهذا ما قوى فيه الملكة الادبية ووجهه توجيهها فنياً بالإضافة الى ما كان يستمتع اليه من الاحاديث.

١٠- ومن الكتب التي قرأها في أول عهده بالقراءة غير القرآن الكريم وغير المقدمات العلمية في المدرسة كالكافية (القطر) ومغني اللبيب، وحاشية الملا عبد الله في المنطق، كان انوار الربيع، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، وستان سعدي، وديوان حافظ في اللغة الفارسية وديكامرون لبوكاشيو الايطالي باللغة الفارسية أيضاً. وقد نشر (الهاتف) وكذلك (الفجر الصائق) و(الراعي) قصاً من (ديكامرون) مترجمة بقلم محمد الخليلي ثم بقلم السيدة ماهرة النقشبندی، وغير ذلك كالمستطرف، واعلام الناس، و(الاغانى) بصورة خاصة، وكل هذا من اوائل ما قرأ الخليلي.



الامثال ولاسيما مجلة (البيان) الكويتية بل لقد انتشر بعض هذه الامثال حتى ترجمت احدى الصحف الالمانية شيئاً منها خصوصاً هذه الحكمة التي يقول فيها الخليلي:

"ينبغي ان يكون للإنسان عمران، عمر يجرب به وعمر يفيد من التجارب" ولقد قلب الخليلي الكثير من الامثال المشهورة فكانت من النكت البارة ومنها المثل المعروف: (رمختي بدائها وانسلت) فقال يجب ان يقال: (رمختي بدائها ولم تنسل) لأن الوقاحة قد تبلغ في بعض الأحيان بأن يرميك الرامي بدائه ويظل يحمق في وجهك، ويحدث إليك كما لو كنت أنت المذنب حقاً.

وقد قلب المثل المعروف: "المكان بالمكين" فقال بل كثيراً ما يكون "المكين بالمكان"، لأن هناك من يخلق المكان له الجاه والعظمة لا الملكة والقدرة الشخصية. ومثل هذا الكثير الذي وان كان يدل على حكمة ملموسة فإنه ليدل على الظرف الذي انصف بها الخليلي قولاً وعملاً.

والكثير من مقالاته ومؤلفاته ولاسيما كتابه (هكذا عرفتهم) يحوي ضروباً من الفكاهة الطبيعية التي تأتي عفواً في اثناء الكلام الى ما كان يستمتع اليه من الاحاديث والمساجلات العلمية في مجالس اسرته والمجالس النجفية الأخرى مما عرفت به مدينة النجف خاصة، اما مكتبة والده هذه فقد انتقلت بعد وفاة صاحبها الى ابنه جعفر وكانت نواة مكتبة كبيرة اضطر الى بيعها في عام ١٩٣٧ على الأكثر لتلافي ازمة مالية كان يعانيها يومذاك حين كان يصدر جريدة الهاتف الصغيرة ويتفق عليها من غير عائد.

٩- كان والده كما تقدم رجلاً فاضلاً، وطبيباً واستاذاً في المنطقة، ومتقناً لآداب اللغتين العربية والفارسية يقول الشعر بإقلاق، كما كان من اوائل القبلين على انخال اولاده واولاد الاسرة في (المدرسة العلوية التي تأسست في النجف الأشرف، تلك المدرسة الحديثة التي كان من مؤسسيها على النمط العصري عم ابنيه الزعيم الروحاني الحاج المرزا حسين الخليلي وقد كان المرجع الروحاني الكبير في عصره وقد تضمنت فتواه وجود انفاق بعض الحقوق الشرعية

(حربهم) مع (المحلات الاخرى) وكان اولاد المحلات في بعض الاحياء يغزو بعضهم البعض حيناً. وفي احدى الغزوات التي قام بها الخليلي وجماعة من ابناء محلته وهي محلة (العمارة) على محلة (الحويش) خرج عليهم جمع من سكان الحويش وكان اغلهم من البنائين وفي ايديهم (الات وادوات البناء) ووقعوا بهم ضرباً إلا ان الخليلي استطاع التخلص بحيلة وهو انه لم يهرب بل مثل دور المتفرج المستغرق الذي لا علاقة له بهذا الغزو... فانطلت الحيلة على هؤلاء ولم يمسه بسوء.

ومن الحواد التي مرت به في الصغر، وهو طالب في المدرسة ولا يزال يذكرها بألم انه رأى زميلاً له يسرق بعض الادوات المدرسية وكثيراً ما كان يقع مثل هذا ولم يعرف السارق فأخبر الخليلي المعلم ثم مدير المدرسة وكان من نتيجة ذلك ان طرد التلميذ السارق وظل ضمير الخليلي يوبخه لأنه هو وليس غيره الذي كان سبب ذلك الطرد وحرمان الطالب من المدرسة. وانه ليذكر الحادث ويحس بالكثير من وخز الضمير ان يكون قد سبب لطلاب الحرمان وان كان مستحقاً للعقاب.

٨- عرف السيد الخليلي منذ الصغر بحب الفكاهة والنكتة وصنع (المقابله) التي توقعه في بعض الاحيان في الاحراج وقد شب عليها. ومن يتصفح كتابه (هكذا عرفتهم) يجد مئات من الشواهد على ذلك. اما النكات العارضة التي تأتي في عرض كلام الخليلي والدالة على سرعة البديهة فهي كثيرة ومنها ان احدى الصحف العراقية وهي (الأيام) نشرت ما يلي:

قيل للاستاذ جعفر الخليلي: انك ابو الصحافة العراقية، فقال انا ابوها حين يريدون شتمها ولعننها بقولهم لعن الله ابا الصحافة، اما قصورها وسياراتها فليس لي منها شيء.

ونشرت جريدة (الزمان) مرة على لسان الخليلي قوله وهو يشكو من مرض النقرس - والنقرس يسميه العرب بمرض الملوك - قائلاً: لست اري لماذا ليس لي من الملوك إلا مرضهم اما رفاههم وهناؤهم فلهم وحدهم دون غيرهم.

وللخليلي امثال وحكم تتخلل الكثير منها الدعابة وقد نشرت الصحف كثيراً من هذه

(الابنابن عباس وجعفر) والبنات الثلاث وهن اكبر من الابنابن (والاستاذ جعفر اصغرهم جميعاً) كنا نعيش مع ابوينا كاصدقاء على وجه التقريب فقد فسح لنا ابونا في مجال الحرية حتى عودنا ان نقول في حضرته شيئاً كثيراً مما قد لا يسوغه الاباء الآخرون لأبنائهم في تلك العصور، ولذلك لم يتوان أخي عباس ان ينتقد من ابيه بعض ما كان يقرأ علينا من نظمه ويناقشه في السهو والغلط، ولا يزال اذكر جدلاً وقع بين أبي وأخي حول بيت من رباعية من نظم أبي نسيت البيت الاول منها وبقي البيت الثاني الذي جرى الجدل حوله وهو قول أبي:

فما لهذا التمني قيمة ابداً إذا أتاك جواب القول لم ترني وقال أخي لأبيه ان الذي أفهمه هو ان مقصودك هو ان تنفي المستقبل وتقول (لن تراني) ولكنك نفيت الفعل في الماضي وهذا خطأ.. وبعد مناقشة أيد أبي اعترض أخي عليه وأحسب انه كان رحمه الله يتحاشانا او يتحاش بالاحرى اخي عباس في النظم فقط.. أما في القواعد العربية الأخرى من نحو وصرف ومعان وبيان فأليه يرجع فضل تقويمها فينا.

وقال الخليلي جعفر: وأذكر ان ابي سألني يوماً عن اسباب نصب كلمة (كريم) ثوابه - من الجملة التالية: (فقبضك اليه باتياريه لك كريم ثوابه) فلم اهدت للسبب، وسأل أخي فلم يهتد هو الآخر أيضاً لأن ابي كان قد فصل بين الجملة وقرأها كما لو كانت جملتين واقفاً عند كلمة (باختياريه) فاضاع علينا اعرابها كمفعول للمصدر، ولا نسل هناك عن الضحك والسخرية بنا من ابينا تشفيماً مما قد كنا نؤاخذة عليه في نظمه او يواخذة اخي على الأصح.

٥- ومن ذكريات طفولة جعفر ان اهله كانوا يزيتون رجله بالجلال (الجانجل) من الغضة لتدليلاً وتحسباً، فخرج يوماً وحده الى الشارع وهو ابن ثلاث سنوات او اربع فرأه سقاء يحمل قربه ظهر حماره فحمل الصبي وأركبه على الحمار ونزع من قدميه الجلال وهو غافل عن ذلك، مسرور يركب الحمار! ومن الغريب حقاً انه وقع لأبيه (هاتف) مثل هذا الضبط مع سقاء يحمل الماء على حمار أيضاً وهو ابن ثلاث سنوات او اربع والفرق هو ان جلال (هاتف) الابن كانت ذهباً ولم تكن فضة كجلال ابيه.

٦- ومن ذكريات طفولته كذلك انه كان كبعض لدائه كثير البحث عن اعشاش العصافير يتسلق لأجلها الجدران (والشناشيل) حيث يستطيع الوصول الى تلك الاعشاش ومرة كان قد تسلق احد (شناشيل) دار يسكنها الشيخ صادق الايرواني في النجف فطرق احد رفاقه من الاطفال باب دار الشيخ وهرب، ولم يسع الخليلي النزول من الشناشيل والهروب، فخرج الشيخ الايرواني وال خليلي لا يزال معلقاً خوّفاً من بطش صاحب البيت فطمأنه الرجل بأنه لن يصيبه باذى اذا ما نزل ولكنه ما كاد ينزل وتطا قدماه الأرض حتى انهال الشيخ صادق عليه بالضرب ولا يزال هذا الشيخ الفاضل حيا يريز وقد كبر الخليلي وكلما راه الايرواني في الطريق سلم عليه ولا يدري الخليلي هل يذكر الشيخ الايرواني ذلك الحادث الذي مضت عليه السنين ام انه نسبه. وهل انه يسلم عليه اليوم تكفيراً عن الماضي؟ ام انه يسلم عليه لمجرد الاحترام.

٧- ومن ذكرياته انني حدثني بها مرة عن طفولته هي ان اطفال محلته في النجف قد جعلوه - لجرأته - رئيساً عليهم في

دمعة على الخليلي

للشيخ الدكتور احمد الوائلي

طوال الردي سفر انعمت في كتابه كبر المعاني رانعا لكل ما به
 ولا تخش ان تضالك الموت فخذة فليس يموت العذر رغم اهلها
 وملك من ان امه الموت رده خضلا وحب الحبيب فوق بيابه
 وصل الحياه الموت نفيا وقمة ونتر ارضنا في رصده خبابه
 ومن نكده الدنيا بقا اول بعد من اذا حملوا ابقولك دون مشايه
 فرجه اذا ما غاب تبينه ساعة ووجه عمل العمد بعد غيا به
 وتدفن فيه بالشرعا ان دفته وجودك ان المرء بعض صهار

اجبتا لا الروض نذر بعدكم ولا الغيب يجلو الردي عند انكابه
 ولا ترب الأيام عنا تغفلة ولا الغيب في ريعانه وشبابه
 ولا الصدر الجلو بجمع شملنا على كبر عت بلل رضايه
 من تر رضناة شهدا وبهجة أمر فذ قنا علقا من رضايه
 ناديه نتم اذا الكظ سامر شهيد الرهونا في عوده دربابه
 نعا ونعا الشاديين به زهر حش فحن يقصر عظمه بغير ايه
 نر ديت قلبن بالدموع وبالجورن فما الدمع فرق الخد غير فذ ايه
 جل كل علورا لا بعد رحيلهم وظل الصدا في حزنه والتائبه

هانت والانس في ذكرياتنا معالم كون ما اختلف في شبابه
 يسع بجوس البار عونا خلا له وتيقن حشود الخاملن بيابه
 كنت به في الشوط حشد فرارس فانس فيك الشوط بعض عابه
 قد عشيته غفا تنام على الطربا حذر خوان حاشد نذبابه
 يا حذو ضيق السحت في رطن بعضهم وصاحته خوف الرب نسط شبابه
 يتو حبه في ثياب ابن آدم ولكن يعيش الثيب تحت اهابه
 انت الذي عاش الحياه بفضله وكان الذي عاش الحياه بنابه



قصيدة القاها
 الراحل احمد
 الوائلي في
 اربعينية جعفر
 الخليلي

